

المرأة

بين مهام الحياة
ومسؤوليات الرسالة

سنة الحج التي آياها الله العظيم

السيد محمد بن عبد الله
الدرسي

المرأة

بين مهام الحياة ومسؤوليات الرسالة

سَمَاحَةُ الْمَرْجِعِ الدِّيْنِيِّ آيَةُ اللَّهِ الْعُظْمَى

السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ تَقِي الْمُدَرِّسِيُّ ﷺ

هوية الكتاب

الكتاب: المرأة بين مهام الحياة ومسؤوليات الرسالة.

محاضرات: ساحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي دام ظله.

إعداد: القسم الثقافي في مكتب المرجعية.

الطبعة الثانية: ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م. (١٣٦ صفحة).

الناشر: مركز العصر للثقافة و النشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

المحتويات

مقدمة الطبعة الأولى ٩

الفصل الأول: عن المرأة

١- المرأة بين الجاهلية والإسلام ١٥

الأسرة هدية المجتمع ١٦

الفهم السلبي لقيمومة الرجل ١٨

حدود القيمومة في الاسلام ٢١

الدور الأمثل للمرأة ٢٢

٢- المرأة في الواقع الإسلامي ٢٥

اليوت الفاضلة ٢٥

اليوت الكافرة ٢٧

دور المرأة في بناء الاسرة الفاضلة ٢٨

النظرة الايجابية للمرأة ٢٩

فاطمة الزهراء عليها السلام انموذج المرأة الرسالية ٣٠

المرأة لا يقتصر دورها على البيت ٣١

وصايا الى المرأة المسلمة ٣٢

- ٣- المرأة في مجتمع الرسالة..... ٣٤
- ٤- عقبات في طريق المرأة..... ٤٣
- ١- الضغوط النفسية والاجتماعية..... ٤٥
- ٢- الزواج ومسؤوليات البيت..... ٤٥
- ٣- عدم معرفة الاساليب المناسبة للعمل..... ٤٦
- ٥- المرأة حرة.. مسؤولية..... ٤٨
- من مدرسة الامهات..... ٤٩
- الحجاب في القرآن..... ٥٠
- أين يتجسد دور المرأة؟..... ٥٣
- ٦- عن المرأة والعمل الاسلامي..... ٥٥
- ٧- المرأة الشاهدة على عصرها..... ٦٣
- غياب الامة عن الساحة..... ٦٤
- أسوة حسنة..... ٦٧
- ٨- المرأة المؤمنة أدوار متميزة..... ٧٢
- قصة الفضيلة..... ٧٤
- أهداف مقدسة..... ٧٥
- المرأة المؤمنة تقهر التحديات..... ٧٦
- مريم معلمة للنبي زكريا؟!..... ٧٨
- من خصائص الام الحقيقية..... ٧٩

الفصل الثاني: عن التربية

- ١- دور الأم في التربية..... ٨٣
- ٢- كيف نربي الجيل الناشئ؟ ٩٢
- ٩٣ مهام تربية
- ١- الإهتمام بالتهذيب النفسي والمعنوي..... ٩٣
- ٢- الغاء الفواصل بين الوالدين والاولاد..... ٩٥
- ٣- استغلال فرصة العطلات..... ٩٧
- ٤- الغذاء الروحي..... ٩٧
- ٥- حفظ النصوص الدينية..... ٩٨
- ٩٩ العبرة بقصص الانبياء
- ٣- الاسرة بيت النور الالهي..... ١٠٢
- ١٠٢ فيا ترى؛ ما هو سور القيم وقواعده؟
- ١- تحسيس الأطفال بالمودة..... ١١١
- ٢- الموازنة بين خارج البيت وداخله..... ١١٢
- ٣- الجو الإيجابي في الأسرة..... ١١٣
- ٤- التقوى أساس التربية..... ١١٤
- ٥- التربية الصالحة ضمان الاستقامة..... ١١٩
- ٦- التربية الصالحة ضمان السعادة..... ١٢٧
- ١٣١ امرأة عمران ونذر الذرية

مقدمة الطبعة الأولى

على الرغم من كل محاولات إستضعاف المرأة، واستغلالها بابشع الاساليب.. تبقى المرأة مشعلاً وضاءً في طريق الاجيال، وعموداً شامخاً لخيمة المجتمع.

وقد راحت المرأة - ولسنين طويلة - ضحية النظرات الخاطئة تجاهها. فهناك من كان يرى وكأنها جزء من ممتلكاته الشخصية؛ فلا يدعها تبصر الحياة بعينيها، ولا يسمح لعقلها بالتفكير فيما حواليتها.. واذا أرادت الحديث في أية مسألة قمعها، واذا حاولت أن تعرب عن رأيها في أي موضوع استهزأ بها.. وعلى هذا كانت إرادة الرجل فقط هي الحاكمة في كل كبيرة وصغيرة، ولم تكن المرأة سوى آلة كأنها خلقت لخدمته وقضاء حاجاته وتنفيذ رغباته.

وعلى عكس ذلك تماماً هنالك من يتعامل مع المرأة وكأنها هي كل الحياة، ولا رأي للرجل في مقابلها. فلها مطلق الحريات، ويدها كل زمام الامور.

هكذا أخطأ كل من نظر للمرأة نظرة افراط أو تفريط. بينما الاسلام أعطى للمرأة منزلتها الواقعية، وموقعها الطبيعي في المجتمع. فلم يجرمها من حقوقها المشروعة، ولم يسلبها دورها، ولم يسقط عنها مسؤولياتها.. فدعاها الى طلب العلم، وطالبها باداء فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشجّعها على القيام باعمال الخير والاحسان، ولم يجرمها من الطيبات التي خلقها الله للإنسان.

ولحفظ منزلة المرأة، وعلو شأنها، وضع الاسلام جملة ضوابط لها؛ كالالتزام بالحجاب، ومراعاة العفة.. حتى لا تفقد المرأة شخصيتها وكرامتها من جهة، ولا تصبح من جهة أخرى سبباً لفساد المجتمع، وتخریب كيانه. وهكذا فقد احرزت المرأة موقعاً ممتازاً على خارطة الاسلام؛ وقد سجل لها التاريخ انجازات ضخمة، وادواراً عظيمة في الدفاع عن الحق، ونصرة المظلومين، ومجاهدة الطغاة.

وهذا ما يدعوا المرأة المسلمة - دائماً وابدأ - أن تعي قدرها، وتدرك قيمتها، دون أن تستخف بشخصيتها، وان لا تستهين بطاقتها.

هذا ما أكد سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي دام ظله عليه في جملة أحاديث متفرقة. ونظراً لأهمية هذا الموضوع في واقعنا المعاصر، بادرننا الى تحرير تلك الأحاديث وإعدادها في كتاب، بغية تعميم نفعها وفائدتها. وقد اضعنا اليها

جملة أحاديث عن التربية، وذلك لما لها من علاقة وثيقة بمهام المرأة الحياتية ومسؤولياتها الرسالية. والله من وراء القصد.

مكتب سماحة المرجع الديني

آية الله العظمى المدرسي

١٣ / جمادى الأولى / ١٤١٩ هـ

الفصل الأول

عن المرأة

- 
- ١ - المرأة بين الجاهلية والإسلام
 - ٢ - المرأة في الواقع الإسلامي
 - ٣ - المرأة في مجتمع الرسالة
 - ٤ - عقبات في طريق المرأة
 - ٥ - المرأة حرة.. مسؤولية
 - ٦ - عن المرأة والعمل الإسلامي
 - ٧ - المرأة الشاهدة على عصرها
 - ٨ - المرأة المؤمنة؛ أدوار متميزة

المرأة بين الجاهلية والإسلام

يُعدُّ نظام الأسرة من أهم أنظمة الحياة الانسانية الكثيرة والمختلفة من الاجتماع والسياسة والاقتصاد والثقافة والعلم والصحة وغير ذلك. فالأسرة هي اللبنة الاولى، والركيزة الاساسية في هيكل البناء الاجتماعي الذي يشمخ رصيناً ومتيناً اذا ما كانت النواة او الخلية الاسرية تشدها أواصر المحبة، وتقوّم بناءها أسس التعاون والاخلاص والتنسيق والروح النشطة المثابرة.

لقد اراد الله تبارك وتعالى ان يكون البناء الاجتماعي الفاضل للحياة منطلقاً من البناء الاسري الذي صمّمته الرسالة الاسلامية. فمن مجموع الأسر المتناسكة يتكوّن البناء الاجتماعي الرصين، وهكذا يبدأ سير الحياة الطبيعي نحو تحقيق الكمال وعبادة الكامل المطلق.

ولعل أبرز وأعظم ما خطّط وبرمج له الإسلام هو التنظيم الأسري القائم على أساس القيم الربّانية، والمنطلق من اعماق الفطرة

الانسانية. ونقصد بالتنظيم الأسري تلك المجموعة من السنن والقوانين والأنظمة الالهية، والغرائز المهدّبة والموجّهة بالاتجاه الايجابي السليم، والتي اودعها الله سبحانه في ذات الانسان ذكراً كان أم انثى.

الأسرة هدية المجتمع

ولو امعنا النظر وتدبرنا في مصدر الرقي والتقدم الحضاري، وتتبعنا امتدادات أشعة القيم والفضائل والمثل الخيرة، ومنابت الاخلاق والآداب في الوسط الاجتماعي، لرأينا ان ذلك كله ينطلق من التنظيم الاسري المتناسك. فلو كان الكيان الأسري في المجتمع قائماً على ركائز الفضيلة والآداب الخلقية النبيلة، فان هذا المجتمع ستسوده روح التعاون والاخاء والمحبة، وسيكون مجتمعاً منسجماً متحداً وأهلاً لحمل الامانة الالهية في الحياة. أما إذا أصبح الكيان الأسري كياناً مهزوزاً يقوم على الانحراف والرذيلة والتمزق، فان هذا يعني تحلل هذا المجتمع وانحطاطه وتخلّفه. ولو اتسع نطاق هذه الانحرافات فانه سيتحول الى امة سوء وضلال وفساد، لا منحى لها في الحياة غير الهزيمة والتراجع، ولا نهاية غير السقوط.

وعلى هذا الاساس فان الاسرة هي التي تحمل هوية المجتمع وسماة الامة، ولو مثلناها بشكل هرمي فإنّ الاب يشكل قمة هذا

الهرم، فهو مسؤول عن رعاية وحماية الزوجة التي هي الركيزة الثانية للأسرة باعتبارها مسؤولة عن تربية الاولاد، وتنظيم شؤون البيت. فالزوجة محمية من قبل الرجل في النظام الاسري الفاضل، يوليها فائق الرعاية، ويوفر لها كافة مستلزمات الحياة بقدر طاقته وامكاناته، ويعاملها بلطف ورقة امتثالاً لقول النبي ﷺ: «الْمَرْأَةُ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِضَهْرَمَانَةٍ»^١. فينفق عليها، ويفي لها بحقوقها.

وهكذا فان موقع الاب في الاسرة هو موقع القيادة والقيومة، والذي اشار اليه تعالى في قوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^٢. وهذه القيومة ليست مفروضة ودخيلة، بل هي فطرية غريزية

لعل أبرز وأعظم ما خطت
وبرمج له الاسلام هو
التنظيم الاسري القائم
على أساس القيم الربانية،
والمنطلق من اعماق الفطرة
الانسانية..

منسجمة مع طبيعة البناء الأسري، وباعثة على الرضا والطمأنينة والسكينة بين أعضاء الخلية الاجتماعية الواحدة. ثم انها تمثل القيومة الطبيعية التي تدفع الرجل لأن يضحي براحته طلباً للرزق ولقمة العيش انطلاقاً من شعوره بالمسؤولية، واحساسه بالقيومة العائلية. فهو المسؤول عن توفير المستلزمات الضرورية للحياة، واسباب العيش الكريم لمن هم تحت مسؤوليته ورعايته. ثم انه

١ - بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢١٦، رواية ١.

٢ - سورة النساء، آية ٣٤.

مسؤول أيضاً عن توفير الحماية والامن لأسرته، لأنَّ الرزق والامان يمثلان أمرين أساسيين في حياة الانسان.

الفهم السلبي لقيومة الرجل

وعندما جُعِلت القيومة للرجل على المرأة وكيان الأسرة ككل، ظهر الفهم السلبي لهذه القيومة، والذي يشكل خطراً على التنظيم الاسري، والحياة الاجتماعية. ويتمثل هذا الفهم السلبي في تصوّر دور (الاستبداد) في الأسرة، وهو ان يفرض الرجل آراءه وأحكامه الصارمة على اعضاء اسرته، وخصوصاً الزوجة التي تمثّل مركز الامومة، والنصف الآخر من المجتمع الانساني.

وعلى سبيل المثال فان اليونانيين القدماء كانوا يعتبرون المرأة أداة وآلة بيد الرجل، وقد خُلِقَتْ لتعمل في خدمته ليلاً ونهاراً. فتأمّل مدى انحطاط هذه الرؤية الجاهلية التي نشأت منها عادات كثيرة تسيء الى المرأة ومكانتها، وتحطّ من قيمتها الانسانية؛ ومن هذه العادات المقيّنة التي ربما ما تزال آثارها موجودة؛ قتل او حرق المرأة ودفنها حيّة مع زوجها في حالة موته، حيث تجري هذه العادة في بعض مناطق الهند.

ولا شك إنّ مصدر هذه الخرافات، والممارسات اللا انسانية؛ هو التصور المغلوط القائل إنّ المرأة هي مجرد خادمة خُلِقَتْ لسدّ احتياجات الرجل، وتنفيذ مطالبه. فاذا به يصبح دكتاتوراً يأمر

وينهى ويفعل ما يحلو له.

إنَّ غالبية الرجال في ظل مثل هذه الاوهام يشكّلون عصبة تعيش الاحساس العنصري والتمييز، وحالة الاستعلاء على المرأة التي تذهب بدورها ضحية هذا الشعور. فترى الرجل يفرض ارادته

المجحفة، ويملي الاوامر التعسفية عليها. **إنَّ اليونانيين القدماء كانوا يعتبرون المرأة أداة وآلة بيد الرجل، وقد خلقت لتعمل في خدمته ليلاً ونهاراً.** ومن خلال مطالعة التاريخ الانساني نكتشف أنَّ العديد من الرجال الذين غُرز في قلوبهم حب النساء، فأوجد فيهم الحالة

الشعورية التي ينطلقون منها في الدفاع عن المرأة، وحماية الأسرة ككل، إذا بهم يتحولون بسبب الخرافات والاساطير المسيطرة على مجتمعاتهم الى وحوش كاسرة تفترس المرأة، وتمزق الكيان الاسري لدواع تافهة يسندها الجهل وانعدام الوعي والثقافة.

والغريب في الامر ان هذه المعتقدات الخرافية كانت توضع وتصاغ في أطر فلسفية، ومن هذه الصياغات الفلسفية القديمة انطلقت تشريعات واهية تستهين بالمرأة؛ منها ما كان يعتبر المرأة جزءاً من التركة والميراث، شأنها شأن الاموال والممتلكات، تُشترى وتُباع، وتورث، فتصبح بعد موت الزوج أمةً يرثها احد الابناء عند تقسيم الارث.

ولعلّ افضل تلك التشريعات لم يكن يصل الى مستوى مساواة

المرأة مع الرجل بأي شكل من الاشكال. ومن ضمن هذه التشريعات الظالمة؛ أنَّ المرأة كانت تعامل في اوروبا الى فترة قريبة بما يشبه ذلك التعامل الروماني. فقد كانت تكد وتعمل وتكدح ليل نهار، ولكنها في نهاية المطاف لم يكن لها حق التملك، وليس لها حرية التصرف بما يقع تحت يدها من الاموال، لانها قبل بضعة قرون لم تكن انسانة في نظرهم. وهكذا فان النظرة الى المرأة لدى الجاهليتين الاولى والحديثة، انما هي نظرة واحدة، وهي التشاؤم والاستصغار، ولكنها تختلفان في طريقة التعامل معها؛ ففي العصر الجاهلي الذي سبق ظهور الاسلام كانوا يرتكبون الجرائم ليتخلصوا - حسب زعمهم - من شر المرأة. فهي مصدر الشؤم عندهم كما يقول تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^١. ولذلك فقد كانت الانثى تواجه مصير الموت او الحرمان والاحتقار، كحرمانها من الارث ومعاملتها معاملة الأمة والخادمة.. وهذه هي النظرة الجاهلية القديمة.

اما الجاهلية المعاصرة فقد أضحت المرأة فيها ألعوبةً ووسيلةً لهوٍ وترفيه وتمتّع، وكأنها ليست تلك الانسانة المكرّمة المحترمة التي أطرها الله سبحانه وتعالى بالعفاف والحرمة، ورسم لها طريق الرقي

والكمال، كما هو الحال بالنسبة الى الرجال. فهي اليوم لا شغل لها إلا الاهتمام بمنظرها وزينتها، لكي تكون جاهزة لأن يقضي الرجل منها وطره، ويشبع نزوته، كما وأضحى سلعة عامة تجذب الرجال اليها بعرض مفاتها في الشوارع والأماكن العامة.

حدود القيمومة في الاسلام

صحيح أن للرجل قيمومة على الأسرة، والمرأة بشكل خاص في الاسلام، إلا أن هذه القيمومة لها حدودها وشروطها التي تنتهي عند التجاوز والتعدي، وعندما تتحول الى عامل ضرر. وشأن هذه القيمومة هي كشأن قيمومة الحاكم الذي يحكم على الناس. فهي باقية ومستمرة ما دامت في اطارها الصحيح.

إنَّ النظرة الى المرأة لدى الجاهليتين الاولى والحديثة، انما هي نظرة واحدة، وهي التشاور والاستصغار، ولكنهما تختلفان في طريقة التعامل معها.

ويحدد القرآن الكريم لنا حدود هذه القيمومة بقوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾. فهي قيمومة مشروطة مقيّدة، وابرز شروطها القدرة على تأمين الرزق، والعقل. فالتفضيل الالهي يراد به هنا - كما أرى - التفاوت في مستوى التفكير والتدبير والابداع الذي مصدره القدرة العقلية، والنشاط الذهني. فالرجل قيّم على المرأة من حيث الانفاق والمسؤولية المعيشية، للذين

يدفعانه الى الحركة والعمل بجِد ونشاط لكسب القوت، وتوفير مستلزمات الحياة. امّا الرجل الكسول الاتكالي الاناني الذي لا يهتمه **إنّ المرأة هي عهود خيمه** إلا نفسه، ولا ينهض ليكسب ما ينفقه **الاسرة. وهي الهجور الذي** على زوجته وعياله، فان هذا وامثاله **تلتف حوله الاسرة، وينجذب** تسقط عنه القيمومة، واذا ما حاول **نجوم اعضاؤها، فيها تتألف** فرضها فان هذا هو الاستبداد بعينه. **الأسرة وتنسجم.**

إنّ الأب الحقيقي يجب ان يكون مهتماً بشؤون العائلة، فهو أوّل من يحمل آلامها وهمومها. ويجب ان يكون جديراً بهذه المسؤولية، قادراً على استخدام الحكمة والعقل، فيرشد ويوجّه الزوجة والأولاد، ويكون مضحياً براحته وسعادته في سبيل توفيرهما لأهله واطفاله. وهذا هو المعنى الحقيقي للأبوة والقيمومة على الاسرة.

الدور الأمثل للمرأة

ولا شك في أنّ اعظم دور وافضل نشاط يمكن ان تقوم بهما المرأة ما ينسجم مع طبيعتها التكوينية والنفسية، وهو ما تؤديه في اطار بيتها واسرتها. وهذا الرأي يؤيده كل انسان منصف لم يتأثر بالابواق الدعائية الفاسدة، والتيارات المنحرفة التي تريد للمرأة الانجراف في عوالم الفساد والانحلال والضياع والمقولات الرخيصة التي تستهدف الخطّ من مكانة المرأة، ومنزلتها المقدسة في المجتمع، والهبوط بها الى الحضيض.

وفي نظري ان المرأة هي عمود خيمة الاسرة، وهي المحور الذي تلتف حوله الاسرة، وينجذب نحوه اعضاؤها، فيها تتألف الاسرة وتنسجم. ولقد اثبت العلم الحديث ان الطفل يكتسب بعض طبائع وهو ما يزال في بطن أمه، ويتأثر بالكثير من حالاتها النفسية، سواء كانت ايجابية أم سلبية، وفي الحقيقة فان هذا الاكتشاف جاء ليؤيد الحديث الشريف القائل: «الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»^١. كما واثبت العلم الحديث أن تأثير طبائع الأم يستمر على الطفل، ويستمر الى مدة خمسة عشر عاماً. كما ولوحظ - أيضاً - ان الطفل يتأثر، ويرضخ لكلام أمه واسلوبها العاطفي اكثر من الأب.

وهنا تبرز اهمية ثقافة المرأة ووعيتها، وتفتح مداركها. فهي المدرسة الأولى التي يتخرج منها الجيل الجديد الواعي والناضج، إن أحسن المجتمع تربيته بحيث تكون اهلاً للامومة الصالحة، والتربية الطيبة. وهناك بعض النساء يتساءلن عن دورهن الاجتماعي الذي من الممكن ان يقمن به؟

وللجواب على هذا السؤال نقول: ان بإمكان المرأة ان تؤدي أي نشاط ينسجم مع بنيتها الجسمية، وصفاتها الروحية والعاطفية، وفي حدود المحافظة على عفافها. فهي على الصعيد الاجتماعي يمكن ان

تقوم بدور التأليف والتوجيه، والتعليم.. علماً ان بعض الوظائف لا يمكن ان تقوم بها إلا المرأة؛ كالتمريض والطبابة الخاصة بالنساء. اما على صعيد البيت الذي هو عالمها الحقيقي المفضل، فهي المسؤولة عن ادارة شؤونه، وتربية وتوجيه الاطفال، وما الى ذلك من الأمور المنزلية. فالأم الصالحة الواعية هي التي تنشئ جيل الرجال الابطال الذين وصفهم القرآن الكريم قائلاً: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^١. فهم الرجال الذين ينشؤون في احضان مباركة طاهرة لإمّهات كريمات تقف على رأسهنّ فاطمة عليها السلام، والسائرات على نهجها.

المرأة في الواقع الإسلامي

نور الله سبحانه لا بد ان يتجلّى في مشكاة، والمشكاة وحدها لا تكفي فهي تحتاج الى مصباح، والمصباح لا يضيء إلا بوقودٍ نقيٍّ، ولا يتسنّى له بلوغ ذروة التجلّي من دون زجاجةٍ شفّافة.

البيوت الفاضلة

هذه الخصائص كلها متوفرة في الاسرة الفاضلة، التي يقول عنها عز وجل: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾^١. فهذه البيوت سمت الى الاهداف العليا، وتخلّت عن صغائر الامور وتوافهها بسبب شيوع ذكر الله في اطرافها. وسموّ هذه البيوت لا يأتي من حيث هي بيوت، بل ينبعث من سموّ الرجال الذين يعيشون فيها، وسموّ هؤلاء الرجال يكون بذكر الله ليل نهار؛ هذا الذكر الذي يتعالى بدوره على الماديات كالبيع والتجارة:

١ - سورة النور، آية ٣٦.

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَ يُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿١﴾.

والذي يدفع هؤلاء الرجال الى ذكر الله في كل وقت، والالتزام بالعبادات والفرائض دوماً؛ هو وَجَلْ قلوبهم وخوفهم وخشيتهم من ذلك اليوم الرهيب، الذي عظم في السماوات والارض. ومن خشيته تتحول الجبال الى كثبان مهيلة، وتتفجر البحار نيراناً هائلة، وترتعد فرائض ملائكة الله وحملة عرشه:

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ ٢.

والتقلب يعني ان القلوب تبدل وتتحوّل في يوم القيامة، رغم انها في الدنيا قد لا تتبدل بسبب القسوة التي لازمتها. اذن فليوجّه كل واحد منا قلبه في هذه الدنيا على هدى رسالات الله، قبل ان يقسو القلب فيرين عليه الذنب، ويحجبه الاثم، ويعيش في أكنة الخطايا.

وجزاء هؤلاء الذين يربّون قلوبهم على ضوء التعاليم الالهية عظيم، حيث الانبياء سيحتفون بهم كثيراً، ويدعونهم الى مجالسهم، وحتى الله سبحانه وتعالى يستضيفهم تحت ساق عرشه فيتجلّى لقلوبهم، وهذا التجلّي هو أعظم من كل نعم الجنة على عظمتها،

١ - سورة النور، آية ٣٦ - ٣٧.

٢ - سورة النور، آية ٣٧.

فيقعون ساجدين للرب شكراً له، فيأمرهم تعالى برفع الرؤوس قائلاً لهم: «عِبَادِي! ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ، لَيْسَ هَذِهِ بِدَارِ عَمَلٍ، إِنَّمَا هِيَ دَارُ كَرَامَةٍ وَمَسْأَلَةٍ وَنَعِيمٍ، قَدْ ذَهَبَتْ عَنْكُمْ اللَّغُوبُ وَالنُّصُبُ» فإذا رفعوها رفعوها وقد أشرقت وجوههم من نور وجهه سبعين ضعفاً.

وهكذا فإنَّ الجزاء الإلهي للمؤمنين والمؤمنات يتضاعف تطبيقاً لقوله عزّ من قائل: ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^٢.

البيوت الكافرة

وفي مقابل بيوت هؤلاء المؤمنين تبدو بيوت الذين كفروا مهذمةً جدرانها، خربةٌ سقوفها. فهي لا تستطيع ان تحفظ شيئاً من اعمالهم. فهي لا تحجز في مكان حفيظ، بل تتناثر وتذهب هنا وهناك، كما يشير الى ذلك عز وجل في قوله:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۖ﴾^٣.

١- الاختصاص [للمفيد]، ص ٣٥٣.

٢- سورة النور، آية ٣٨.

٣- سورة النور، آية ٣٩-٤٠.

فالليل والسحاب وظلمات البحر والامواج المتراكمة فيه، كل ذلك لا يُبقي بصيصاً من النور في القلوب المظلمة التي تربّت في بيوت اللهو والإنشغال بالدنيا؛ البعيدة
إِنَّ مَوْقِفَنَا مِنَ الْمَرْأَةِ يَنْبَغِي
أَنْ يَنْبُعْثَ مِنْ وَلَانَا لِغَاطِمَةِ
الزَّهْرَاءِ ۖ وَالْمَعْرِفَةِ بِدَوْرِهَا
فِي تَأْسِيسِ الْبَيْتِ الرَّسَالِيِّ.
 عن سنن الله واحكامه، والتي تشبه
 ظلمات قيعان البحر. فتكون قلوب
 الذين يعيشون فيها مظلمة من جرّاء

ظلمات الذنوب والفساد والطبيعة البشرية غير المهذبة.

والنور الكفيل بازالة هذه الظلمات لا يستطيع احد تسليطه سوى
 الله جل وعلا، وقد قال ربنا عز وجل: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا
 فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾^١. ويأتي نور الهداية هذا عبر ذكر الله جل وعلا.

دور المرأة في بناء الاسرة الفاضلة

والاسر الفاضلة التي يشكل قسماً من افرادها رجال مهديّون،
 بحاجة ماسة الى نساء. لان الله عز وجل يلقي بالمسؤولية على عاتق
 الاثنين؛ فالمرأة هي التي تحافظ على الاسرة، فهي مشكاتها ووقودها.
 ولذلك فان علينا ان ندرس ملياً الحضارات السائدة، والتجمعات
 الموجودة، والمجموعات العاملة عبر طبيعة معاملتها للمرأة، ومدى
 الدور الذي تنهض به فيها، فاذا كانت المرأة ذات بصيرة منحرفة،

فان هذه البصيرة ستنعكس على الرجل. وهكذا الحال بالنسبة الى الرجل. فالمجتمع لا يمكن ان يكون له موقفان، بل موقف واحد. ان موقفنا من المرأة ينبغي ان ينبعث من ولائنا لفاطمة الزهراء عليها السلام، والمعرفة بدورها في تأسيس البيت الرسالي، والشجرة المحمدية التي ما تزال مستمرة، وستظل كذلك الى يوم القيامة. وموقفنا منها عليها السلام يعبر عن موقفنا من المرأة اليوم، كما ان اهتمامنا ومعرفتنا بفاطمة الزهراء عليها السلام ينعكسان على اهتمامنا بأية امرأة.

النظرة الايجابية للمرأة

وعلى كل رجل ان ينظر الى المرأة نظرة ايجابية سليمة، لئلا يظلم حقها. كما أنَّ على المرأة بدورها ان لا تنظر الى نفسها بمنظار الحقارة فتستاء، لان الله عز وجل بعث كل الانبياء من الرجال. فالله لم يغفل دور المرأة الرئيسي، حيث إنه جعل من النساء قدوات حسنة امثال مريم عليها السلام سيدة نساء عالمها، والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، والسيدة زينب بنت امير المؤمنين والسيدة خديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم.

ومن مميزات الخط الرسالي عن الخطوط الاخرى، فهمه العميق لدور المرأة، واهتمامه الجاد بهذا الدور؛ حتى ان الحركات الرسالية في التاريخ الاسلامي كانت تستلهم من شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام

الشيء الكثير، لأنها وقفت بصلابة في سبيل تكريس الخط الرسالي، وترسيخ القيم القرآنية، رغم انها امرأة. ومع ذلك نهضت فاطمة عليها السلام لتكون مثلاً أعلى للقيم والمبادئ.

فاطمة الزهراء عليها السلام انموذج المرأة الرسالية

وقد كانت عليها السلام منبعاً للحنان الذي فقده رسول الله صلى الله عليه وآله في طفولته، فقد تجلّى الحب الذي لم يره في حياته في تعلق فاطمة به.

وهكذا فان نور الله يتجلّى في بيوت المؤمنين مثل بيت فاطمة عليها السلام، التي تزهّر لأهل السماء كما تزهّر النجوم لأهل الارض عندما تقف

في محراب عبادتها. وعندما كانت تربي اطفالها الحسن والحسين عليهما السلام وزينب وأم كلثوم على اسمى معاني الخير والفضيلة، فيغدون انواراً تضيء لأهل الارض. كما انها كانت

المرأة التبريرية هي التي تشع
بالانهازام أهام الحياة، عندها
تحصر دورها بين جدران البيت.
صحيح ان من مهمة المرأة ادارة
بيتها، ولكن لا يعني هذا أن لا
تتطلع الى ادوار اخرى في حياتها.

تقوم بدور جهادي هائل في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وبعد وفاته، وتؤدي دور الدعم لزوجها أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمارس اعماله ومهامه في الساحة الاسلامية.

وبالطبع فان المسؤولية ليست مقتصرة على المرأة فحسب، لأن تربية الرجل لها وهي صغيرة، ومعاملته لها كأخت، وموقفه منها

كزوجة أو أم، كل ذلك يؤثر في التخطيط المستقبلي للمرأة. لان الرجل الذي يتطلع الى التقدم في الوقت الذي يأمر فيه زوجته بالاقامة في البيت للقيام بالاعمال المنزلية لا غير؛ لا يمكنه ان يساهم في اعطاء المرأة دورها الرسالي.

المرأة لا يقتصر دورها على البيت

والمرأة التبريرية هي التي تشعر بالانهزام أمام الحياة، عندما تحصر دورها بين جدران البيت. صحيح ان من مهمة المرأة ادارة بيتها، ولكن لا يعني هذا ان لا تتطلع الى ادوار اخرى في حياتها.

فالمرأة يجب ان تواصل مسيرة العمل الرسالي الخالد، ففاطمة الزهراء عليها السلام كانت تأخذ بيد حسنيها الى بيوت المهاجرين والانصار لتطالبهم بالاستقامة والثبات على طريق الرسالة باتباع امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ونصرته. وامرأة اليوم عليها ان لا تتعلل بابنائها، بل عليها ان تذهب معهم الى سوح العمل الرسالي لتؤدي رسالتها الخالدة.

وقد استطاعت فاطمة الزهراء عليها السلام ان ترمج حياتها؛ الأمر الذي مكّنها من ممارسة جميع نشاطاتها. فقد كانت تدير بيتها، وفي نفس الوقت كانت تقوم بدورها الجهادي نهاراً، والعبادي ليلاً.

وعندما انهزمت مجتمعاتنا انهزمت المرأة تبعاً لها؛ فالرجل اصابه

الانهزام بسبب تنصله من مسؤوليته، وإلقائها على عاتق العلماء والمثقفين. اما المرأة فانها انهزمت متذرعة بانها ضعيفة لا تستطيع التحرك لتغيير مجتمعتها. ولكن هذه الاعذار غير مقبولة عند الله، سواء كانت من الرجل أو المرأة.

وصايا الى المرأة المسلمة

وفي هذا المجال اقدم بعض الوصايا للمرأة، علّها ترتفع الى مستوى المسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتقها:

١ - لا بد ان يساهم الرجل في تنظيم حياة المرأة، سواء بالتوجيه، ام باتخاذ المواقف المناسبة من خلال معرفة دور الطرف الآخر. فالرجل عليه واجبات، وكذلك المرأة. ولكن طبيعة تقسيم الادوار ينبغي ان تكون عادلة، لان ذلك سوف يؤثر في مواقف المرأة ومدى تحرّكها في الساحة.

٢- على المرأة ان تخطط لمستقبلها الاستراتيجي للتكيف مع الظروف المختلفة التي تنتاب حياتها، وخصوصاً من الناحية الجسدية. فاذا ارادت لنفسها الصحة والسلامة، فانها تستطيع ذلك عبر برمجة اكلها وشربها وطريقة حياتها والالتزام بالبرامج السليمة لبناء

اذا اعطت المرأة ناصيتها الصحية
حقها، فانها ستستطيع حينئذ
ان تدخل الى سائر المجالات،
فتنظّر براوجها بدقة للوصول
الى اهدافها.

قدرتها البدنية.

واذا اعطت المرأة ناحيتها الصحية حقها، فانها ستستطيع حينئذ ان تدخل الى سائر المجالات، فتنظّم برامجها بدقة للوصول الى اهدافها، وتتجنب المسائل التافهة التي تشغل فكر الانسان فتمنعه من التخطيط للمستقبل والبرمجة للحياة.

٣- الجدّية في تذليل العقبات. وبلاضافة الى الابتعاد عن الصغائر فان المرأة بحاجة الى الجدية في تذليل المشاكل، لأنّ البعض قد يخطط للتغلب على المشاكل، إلا انه سرعان ما يتراجع فور مواجهته للفشل، فينهزم نفسياً، ويأس من رَوْحِ الله. في حين ان اليأس ذنب عظيم يرتفع الى درجة الكفر كما يقول تعالى: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^١.

وكذلك الحال بالنسبة الى المرأة فان عليها - اذا دخلت ساحة العمل - ان تبرمج لنفسها، وتكون جدية في تذليل العقبات امام مسيرتها المقدسة، حتى تسير مع الرجل جنباً الى جنب في خدمة الرسالة الالهية، والوقوف في وجه الجاهلية الحديثة حتى دحرها باذن الله.

المرأة في مجتمع الرسالة

من أبرز ما يميّز به الدين الاسلامي؛ شمولية المبادئ لجميع الحقول، وعلى كافة الاصعدة والمستويات، وفي شتى المراحل المتواصلة للحياة البشرية.

٣٤

وتتجلّى لنا هذه الحقيقة في القرآن الكريم، حيث نجده يخاطب عقل النبي الاعظم ﷺ بصفته العقل الأوسع والأكبر، كما انه يخاطب في الوقت ذاته عقل الطفل الذي لا يكاد يميّز بين الكثير من الامور. فالنبي ﷺ ينتفع من القرآن، ويستشف منه اعظم المعاني وأبلغ العبر، وكذلك الطفل يستفيد من هذا الكتاب العظيم حسب قدراته الذهنية ومداركه.

وعلى هذا فان الآيات القرآنية هي كالسُّحْب التي يسقي الله تعالى بها الارض؛ فهي مرتفعة سامية تهطل على الوديان والهضاب والسهول، كما تروي قمم الجبال وسفوحها. وكلام الخالق جلّ

وعلا مرتفع ايضاً، وعندما يفيض نوره، وينبعث هده يشمل الكل ويحيط بالجميع.

وهذه الحقيقة تمثل تجلّي طبيعة الاسلام؛ فهي تعاليم وواجبات على الجميع؛ وتربية وقيم لكلّ الناس، ابتداءً من الطفل الصغير حديث الولادة، وانتهاء بالشيخ الكبير الواقف على اعتاب الموت، كما انها تشمل المرأة والرجل بلا استثناء.

فحينما يأمرنا الاسلام بطلب العلم، ويحثنا على السعي فيه، لم يحصر هذا الأمر بالرجل دون المرأة، بل هو طلب شامل لكل جنس الانسان. لذلك قال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ»^١.

وكذلك حينما يدعو الاسلام الى فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يفرق بين الرجل والمرأة في تحمّل مسؤولياتهم في هذا المجال. وقد قال ربنا عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^٢.

إنّ هذا الاسلوب الشمولي لا يؤدي الى تقوية العمل السياسي فحسب، وانما يعمل على تمتين أواصر الحياة الاجتماعية. وعلى سبيل المثال فعندما يريد رجل سياسي - في ظل المذاهب الوضعية - ان

١ - كنز الفوائد، ج ٢، ص ١٠٧.

٢ - سورة التوبة، آية ٧١.

يهاجر لأجل ان يتمتع بحرية سياسية اكبر، وتطرح أمامه احتمالات الاعتقال والسجن والاعتقال، فاننا نراه لا يستطيع اقناع زوجته وعائلته، لانهم يقولون له: إنَّ أمر العالم لا يعنينا، بل تعنينا أنفسنا فحسب، ولذلك فانه يلاقي صعوبة في تحركه من بيته، وانطلاقه للعمل لوجود الاغلال الاجتماعية التي تمنعه من ذلك.

هذا في حين أنَّ الانسان المؤمن على العكس من ذلك تماماً، فهو عندما ينطلق فان زوجته واهله واقاربه هم الذين يشجعونه ويدفعونه الى العمل والتحرك والتضحية في سبيل الرسالة الاسلامية، لأنهم يؤمنون بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل التغيير والإصلاح الذي عرفوه من كتاب ربهم ومن شريعة دينهم.

وهكذا فإنَّ لغة القرآن هي تلك اللغة التي تنسجم مع طبيعة جميع

افراد البشرية، ولذلك نرى المسلمين حقاً يشجعون أبناءهم على الانطلاق والتحرك؛ الأمر الذي يجعل الابن لا يشعر وهو في المعتقل بوخز الضمير

حينها يأمرنا الاسلام بطلب العلم، ويحثنا على السعي فيه، لم يحصر هذا الأمر بالرجل دون المرأة، بل هو طلب شامل لكل جنس الانسان.

والندم لعمله عندما يُسجن بسبب عمله الرسالي، كما أنَّ اهله يقدرون موقفه، ويذكرونه بالدعاء له دوماً.

أمَّا الرساليون الذين يعيشون في بلدان المهجر فإنَّ اهاليهم لا

يشعرون بحرج - بدورهم - لعلمهم أن أبناءهم قد ذهبوا لأداء مهام رسالية. وانهم بذلك يدفعون ثمن الجنة، لأنهم يتحملون مسؤولياتهم الرسالية. أمّا الزوجة او الأم فانها تتحمّل مسؤولياتها عبر تربية الاولاد، والقيام بمهام البيت.

إنّ الروح الرسالية لبعض النساء كان لها الأثر الكبير في الدور الذي أدّاه الأئمة عليهم السلام على مدى التاريخ. فعلى سبيل المثال فان الامام موسى بن جعفر عليه السلام - شأنه في ذلك شأن سائر العترة الطاهرة - شبّ على اجواء التحرك في سبيل الله عز وجل، على الرغم من كونه اكثر الأئمة عيالاً، وبالرغم من تكالب المشاكل السياسية عليه، وبالرغم - وهو الأهم - من أن كبريات المصائب والبلايا قد توالى عليه ألا وهي مصيبة السجن؛ فلقد انصرم عمره الشريف متنقلاً بين معتقلات وسجون العباسيين غير شاك ولا متذمّر، فلقد رضي بالسجن محراباً للعبادة، والتقرب الى الله تعالى.

وفي غمرة هذه المراحل الحرجة المتأزمة التي مرّ بها هذا الامام الصابر، لم نسمع يوماً أن زوجة من زوجاته قد اعترضت مسيرته الجهادية هذه، بل إنّ كلاً من زوجاته وبناته واولاده واقاربه كانوا ملتزمين بخطه، وسائرين على هداه. وهذا ما تؤكّده لنا احاديثه عليه السلام وأدعيته التي لم يذكر فيها قط ولم يشر الى تملل من ضغط عائلي، أو

تضجّر مما قد يعانیه اهله من مرارات الفراق بعده.
والسبب في ذلك ان التربية الاسلامية علّمت المرأة كيف تقوم
وتنهض بأعباء المسؤولية كاملة، دون اظهار أية بوادر للجزع،
وامارات للضعف.

وهكذا الحال بالنسبة الى الامام الحسين عليه السلام، فقد كان هو واهل
بيته يمثلون قمة الفضائل والمكارم. وقد تجلت هذه الصفات
الاخلاقية السامية بشكلٍ جلي إبان ملحمة عاشوراء وما تلتها من
وقائع وأحداث.

وموقف بطلة الطفّ السيدة زينب عليها السلام في مجلس عبيد الله بن زياد
لعنه الله حين سأها متهكّماً: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت:
«مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلاً، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَى
مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَتَحَاجُّ وَتَخَاصِمُ فَأَنْظُرْ لِمَنْ
يَكُونُ الْفُلَجُ يَوْمَئِذٍ، هَبْلَتِكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ»^١.

هذا الموقف هو أوضح دليل على ذوبان اهل البيت في العقيدة
الاسلامية. والادوار الرسالية التي ملأت بها هذه المرأة الشجاعة اطار
ملحمة كربلاء هي اكثر من ان تُحصى او تُوصف بكلام.

وهكذا الحال بالنسبة الى جميع نساء أهل البيت عليهم السلام في كربلاء، فقد
كنّ القلعة المنيعه للثلة المؤمنة التي نزلت الساحة الدموية المحتدمة لا

تلوي على شيء، لعلمها أن هناك وراءها زوجات وامهات واخوات، بل وحتى أطفالاً هم في مستوى التحدي، بل وارتفاع واسمى منه، لا يرتضون لهم العودة إلا بالشهادة. فكانوا يتواثبون بقلوب مؤمنة، ويهرعون الى القتال بشوق، وهم موقنون انهم قد خلّفوا وراءهم اهلاً لا يتململون من آلام الأسر، ولا تحرفهم مرارة الآلام عن جادة الحق والصواب.

نعم؛ فهذه هي حالة الشمولية في الاسلام، والتي تعني قيام كل انسان مسلم بدوره الاولي في الدفاع عن حريم الرسالة ونصرة المجاهدين، الأمر الذي يجعل كل فرد من افراد المجتمع الاسلامي يندفع وينطلق من نفس المبدأ الذي ينطلق منه الرساليون، ويجعل ذات الأفكار والقيم والتوجهات الاسلامية التي يحملونها - والتي تحدو بأي شاب مسلم ان يتحرك في سبيل الله حتى وان تعرض

للصعوبات والمشاكل - يجعل هذه التوجهات والقيم والمبادئ والاورام الالهية هي التي تنفخ روح النهضة في زوجته أو أمه أو أخته، وتحرضها على

إن التربية الاسلامية علّمت المرأة كيف تقوم وتتنهض بأعباء المسؤولية كاملة، دون إظهار أية بوادر للجزع وأهوارات للضعف.

الصمود في وجه المشاكل، وتدفعها الى القيام بأدوار اساسية في العمل في سبيل الله تبارك وتعالى.

واليوم علينا أن نعرف أن العدو استطاع ان يكتشف هذه الميزة المهمة للرسالين، فالاستعمار يستخدم وبصورة مجزأة قوة الجماهير ومن مختلف القطاعات في سبيل دعم قوّته الشيطانية، ومن ضمن هذه القطاعات القطاع النسوي.

ومن هذا المنطلق فقد عمدت الأنظمة والحكومات العميلة المعادية للنهضة الاسلامية الى تعبئة الطاقات النسويّة، وصبّ هذه الطاقات في مجالات لا تخدم

إنّ على المرأة التي تمارس على زوجها شتى انواع الضغوط، ان تفكر بان له طاقة محدودة لا يمكن ان تدوم من اجل تحقيق طلباتها المتزايدة.

بأي حال من الاحوال الرسالة الاسلامية. فقاموا بتأسيس الاتحادات النسويّة التي هي في

الحقيقة يؤر موبوءة بانواع المفاسد الاجتماعية، وتضمّ بين طيّاتها مجموعة من النساء اللواتي ليس هنّ أية علاقة بالقيم الالهية.

وبعد تركيز العمل، وتعبئة الطاقات دخل قسم كبير من النساء المسلمات في هذه الاتحادات طوعاً وكرهاً. وقد راحت بعضهن يدافعن عن الأنظمة الجاهلية، ويسندن الباطل.

والسبب في ذلك ان الجاهليين المجرّدين من الافكار الالهية الاصيلّة، اخذوا بزمام المبادرة وعملوا على تثبيت مواقفهم. أمّا الاسلاميون فقد تراجعوا وتلكّؤوا وتقاعسوا، وحاولوا إقناع المرأة

بأن البيت هو افضل مكان لها، ورضيت هي بدورها بقرار لم يكن لها ايّ يد في اصداره.

يجب تكثيف الجهود والتوجهات

حيال القطاع النسوي من

المجتمع؛ سواء كان مُمثلاً بالنم

أو الزوجة أو الأخت أو البنت.

ونتيجة لتلك الجهود التي بذلتها الحكومات والأنظمة المعادية للاسلام، والمتمثلة في إهلاء المرأة

واقحامها في مجالات غير تلك التي عيّنها لها الله سبحانه وتعالى، فقد انشغلت عن ادارة شؤون البيت، والقيام بمسؤوليتها المتمثلة في دعم مسيرة الرجل الرسالية، لتنهمك في الأمور التافهة من قبيل الجري وراء الكماليّات، والحياة المرفّهة، وهي في هذا المجال لا يهّمها من اين يحصل الزوج على الأموال التي تؤمّن تلك الاحتياجات الكاذبة.

إنّ على المرأة التي تمارس على زوجها شتى انواع الضغوط، ان تفكّر بان له طاقة محدودة لا يمكن ان تدوم من اجل تحقيق طلباتها المتزايدة؛ وعليها ان تدرك ايضاً انه لا يستطيع ان يوفّق بين مهامه الرسالية، ومشاغل البيت بشكل كامل. فالحياة تكتنفها الصعوبات، وخصوصاً بالنسبة الى المجاهدين والمهاجرين الذين يريدون ان يطوّروا المسيرة الجهادية، ويعطوا من انفسهم الكثير.

ومن هنا اذا ما أرادت المرأة ان تقدم العون لزوجها العامل في سبيل الله، فعليها ان تتبع اسلوب التقشّف والاقتصاد في حياتها،

لكي تسهم بذلك في تخفيف الضغط المعاشي على زوجها.
فالمرأة انما تعتبر زاهدة اذا عرفت كيف تدير البيت، وتدبر امور
المعيشة، دون ان تجعل الرجل محتاجاً الى القيام بأعباء هذه الامور
لوحده، اما اذا فعلت العكس، فلن تكون - عندئذ - تلك المرأة
الزاهدة المتقية.

ولا يغيب عنا؛ ان وجود النساء الميالات الى البذخ والترف لا
يدع رجال الأمة ان يساهموا في بناء كيانهم الرسالي، ويسلب منهم
تطلعاتهم في الاعمار.

وعلى هذا يجب تكثيف الجهود والتوجهات حيال القطاع
النسوي من المجتمع؛ سواء كان متمثلاً بالأُم أو الزوجة أو الأخت
أو البنت.. وذلك من خلال تزويد هذا القطاع بالتربية الاسلامية،
وتركيز الأفكار والرؤى الرسالية فيه.. كل ذلك لأجل أن يتمتع
النصف الثاني من المجتمع بالوعي والنباهة، وبذلك لا يفقد دوره
في مسيرة نهوض الأمة وتقدمها.

عقبات في طريق المرأة

ان الاسلام يؤمن بان مسؤولية المرأة هي كمسؤولية الرجل، ولذلك فان القرآن الكريم يطلق خطابه لتشمّل كلّاً من الرجل والمرأة؛ فهو اما ان يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ او: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. ومن المعلوم إنّ تعبري ﴿النَّاسُ﴾ و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ينطبقان على الانسان بصورة عامة بغضّ النظر عن كونه ذكراً ام انثى.

وهكذا فان الخطاب القرآني موجّه الى كل الناس، سواء كانوا رجالاً أم نساءً، ومن الخطأ ان نخصص المسؤوليات الدينية بالرجال. ومثل هذا التصور المغلوط هو افراز لعهود التخلف والانطواء، والهروب من المسؤولية، والغيبة عن الساحة. فالكثير من المسلمين يتصورون خطأً ان النساء غير مسؤولات عن الواقع الاجتماعي، في حين اننا نرى ان المرأة طيلة تاريخنا الاسلامي المديد

كانت تشارك الرجل في كل المجالات الاجتماعية بلا استثناء؛ والمثال الواضح على ذلك خديجة الكبرى عليها السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، والعقيلة زينب عليها السلام وغيرهنّ من النساء اللاتي اشتركن بشكل مباشر في العمل الرسالي والنشاط النهضوي، وكنّ شاهدات على ان الاسلام يدفع المرأة للمساهمة في تحمل المسؤوليات الاجتماعية والتربوية.

وحتى في عصرنا الحديث نرى

**إِنَّ الْخُطَابَ الْقُرْآنِي هُوَ، إِلَى
كُلِّ النَّاسِ، سَوَاءَ كَانُوا رِجَالًا أَمْ
نِسَاءً، وَهِيَ الْخُطْبَةُ أَنْ نَخْصِصَ
الْمَسْئُولِيَّاتِ الدِّينِيَّةَ بِالرِّجَالِ.**

أَنَّ المرأة قد قامت بين الحين والآخر بأدوار جبارة؛ والمثال الواضح على ذلك، ثورة العشرين في العراق التي ساهمت فيها المرأة المسلمة مساهمة فاعلة؛ وثورة التنبك في ايران، والتي يروي لنا التاريخ ان المرأة هي التي فجّرت هذه الثورة، حيث خرجت في اليوم الأول تظاهرة نسائية ضد ناصر الدين شاه في طهران.

أما في عهود التخلف التي لم تشهد قيام أية نهضة، فقد كان المجتمع يوحى للمرأة أنّ عليها ان تجلس في البيت فحسب. لا شك؛ ان هناك ثمة عقبات تعتري دور المرأة، وتحد من مشاركتها في الاعمال التي يقوم بها الرجل والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، ومن تلك العقبات ما يلي:

١- الضغوط النفسية والاجتماعية

ان النساء قد يشتركن احياناً في بعض الاعمال، ولكن خلفية الجمود والجبين وعدم الشعور الكامل بالمسؤولية، هذه الخلفية تمارس الضغط عليهنّ. حالهنّ في ذلك كحال الانسان الذي يريد ان يتسلق مرتفعاً، ولكنه يحمل معه حملاً ثقيلاً. فمن جهة نرى ان عنده اندفاعاً للصعود، ومن جهة اخرى نرى ان الثقل الذي يحمله يحاول ان يسحبه ويبطئ من حركته. فالمرأة في مجتمعاتنا تحاول ان تعمل وتتحرك في

في عهود التخلف التي لم تشهد قيام أية نهضة، كان الوجدع يوحى للمرأة ان عليها ان تجلس في البيت فحسب.

المجالات الإيجابية البناءة، ولكن المجتمع يقف حائلاً دونها. وفي بعض الاحيان نرى الثقافة التبريرية هي المترسخة في ضمير المرأة، فهذه الثقافة توحى اليها أن ليس من الواجب عليها ان تعمل شيئاً.

٢- الزواج ومسؤوليات البيت

قد يؤدي الزواج بالمرأة المسلمة العاملة الى تحديد نشاطها، أو انسحابها منه بشكل كامل، بسبب عدم قدرتهنّ على التوفيق بين مهام الزواج ومسؤوليات العمل الرسالي. فهناك الكثير من النساء

كن يعملن ويجاهدن، وكانت الواحدة منهنّ تمثل كتلة من النشاط والتحرك، ولكنهنّ - للاسف الشديد - لم يعرفن كيف ينتفعن من الزواج ويحوّلنه الى باب للمزيد من العمل والنشاط، والجمع بين العمل البيتي والعمل في سبيل الاسلام.

إن القضية المهمة التي يجب التوجه إليها بجدية هي قضية مقاومة الرواسب الجاهلية، وضغوط الشهوات لنجل أن تأخذ المرأة مكانتها الطبيعية في المجتمع.

وللاسف فان القسم الاكبر من نساءنا يتصورون ان مهمتهنّ في الحياة تتلخص في الاهتمام بالبيت والزوج والأولاد فقط.. وهذا تصور صحيح، شريطة ان لا تغطي هذه المهمة على جميع جوانب حياتها، فعلى الانسان ان يوفق بين جوانب حياته المختلفة.

٣- عدم معرفة الأساليب المناسبة للعمل

عدم معرفة المرأة لأساليب العمل المناسبة لها. فهناك البعض من النساء يتصورن ان الابواب مغلقة امامهنّ، ومن الطبيعي ان المجتمع يحاول هو بدوره ان يغلق هذه الابواب في وجه المرأة، لان مجتمعاتنا لا زالت تعاني من التخلف الكثير الكثير. والذي يزيد الطين بلة، ان المرأة تتهيب وتستصعب عملية فتح تلك الابواب، والمبادرة الى دخول المجالات الكامنة وراءها.

وهكذا فان الكثير من الاعمال بحاجة الى إرادة واندفاع

وشجاعة، لكي يستطيع الانسان ممارستها وفتح ابوابها المغلقة. الا اننا - للأسف - لا نبادر الى ذلك بحجة ان الآخرين لم يبادروا إليه. واذا ما سلّمنا جدلاً بأن المرأة لا تستطيع اقتحام المجالات المغلقة امامها، فانها تستطيع - على الأقل - ان تساهم بشكل فاعل في حقول العمل المفتوحة أمامها؛ من مثل الكتابة والتأليف والعمل التعليمي وما شاكل، فمثل هذه الاعمال من الممكن للمرأة ان تمارسها دون ان تخلّ باعمالها المنزلية.

ومن جملة الاعمال الاخرى التي تستطيع المرأة المسلمة ان تزاوّلها دون ان تصطدم بأية عقبة؛ عملية تربية النساء الاخريات وارشادهن. وبالطبع فان هذه العملية بحاجة الى شجاعة وصبر من قبل المرأة التي تمارسها. فالانسان الذي يريد ان يوجه الآخرين يجب عليه ان يتحمل الصعوبات اكثر من غيره. والمرأة يمكنها ان تقوم - ولا سيّما في المراحل الاولى من العمل - بتوجيه مثيلاتها من النساء، وان تتحمل في سبيل ذلك الصعوبات المتمثلة في الحواجز النفسية التي هي من افرازات عهود الجهل والتخلف.

وعلى هذا؛ فان القضية المهمة التي يجب التوجه إليها بجديّة هي قضية مقاومة الرواسب الجاهلية، وضغوط الشهوات لأجل أن تأخذ المرأة مكانتها الطبيعية في المجتمع.

المرأة حرة.. مسؤولة

ترى كيف يتعامل الله سبحانه وتعالى مع عباده بقضائه، وكيف يحقق ارادته في اعطاء الملك للمستضعفين في الارض؟
ان لذلك تفصيلاً يبيّنه القرآن الكريم، ومن خلال بيانه للتفاصيل يوضح لنا فلسفته ورؤيته العامة تجاه الحياة.

والحقيقة التي يؤكد عليها القرآن الكريم يؤكد دائماً على أن هؤلاء الابطال الذين غيروا مسيرة التاريخ قد تخرجوا من مدرسة الالهات.

الجماعات. فalmجتمعات والشعوب

ما هي إلا افراد يقومون بصياغة التاريخ، والدليل على ذلك قصة النبي موسى عليه السلام. فهذا النبي العظيم كان يمثل شخصاً يتمتع بقدرة التحدي، وكان ينشر هذه القوة بين صفوف بني اسرائيل الذين كانوا قوماً مستضعفين لم يستطيعوا لوحدهم تحدي ضغوط فرعون، بل

كانوا ينتظرون مجيء بطل وقائد لهم، فكان النبي موسى ﷺ.

هذا في حين ان هناك مذاهب اخرى ترى ان الجماهير هي التي تصنع التاريخ. وهذه رؤية خاطئة، لان الجماهير لا يمكن ان تتزود بالوعي إلا من خلال افراد يتحركون بين صفوفها، ويستقطبون طاقاتها. وقد صدق المؤرخ المعروف (ارنولد توينبي) عندما قال: ان التاريخ هو التحدي، والاستجابة لهذا التحدي من قبل الامم والشعوب، وبقيادة افراد لا يمكن من دونهم ان تؤسس هذه الامم الحضارات.

من مدرسة الامهات

والقرآن الكريم يؤكد دائماً على ان هؤلاء الابطال الذين غيروا مسيرة التاريخ قد تخرجوا من مدرسة الامهات. فيذكر لنا مقاومة ام النبي موسى ﷺ لارهاب فرعون وسلطته، وتحديها لقراراته الجائرة. كما يذكر لنا قصة الصديقة مريم بنت عمران ﷺ ومعجزة ولادتها للنبي عيسى ﷺ.. وغيرهن ممن كان لهن ادوار مهمة في تاريخ رسالات السماء، وهذه الأدوار تتمثل في بناء وتربية جيل من الابطال الذين يصنعون التاريخ.

وللأسف فان البعض منا يتصور ان المرأة يجب ان تلازم بيتها ولا تفارقه ابداً، لان الله تعالى قد أوجب عليها الحجاب؛ ولان الحجاب

واجب عليها، فيجب ان تبقى في بيتها، ويجب ان تتحدد مسؤوليتها في اداء امور وواجبات معينة لا تتعدها.

وهنا لا بد ان نقول: ان المرأة حرة، ولانها حرة ومريدة ومختارة

الحجاب مهملٌ وواجب، ولكنه لا يشكل عقبة في طريق المرأة، ولا يمنعها من ان تتحرك وتتقدم العطاء مع الالتزام الكامل بالموازين الشرعية وأحكام الحجاب.

لأن المسؤولية مرتبطة بالحرية، وحيثما كانت الحرية والقدرة على الاختيار تكون هناك أيضاً المسؤولية.

الحجاب في القرآن

ولقد ذكر القرآن الكريم كلمة الحجاب مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^١.

وفي موضع آخر اشار القرآن الى الحجاب بشكل غير مباشر وذلك في الآية الكريمة: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^٢. هذا في حين انه تحدث عن الزواج في آيات كثيرة تربو على المائة.

ونحن نفهم من ذلك ان الشارع المقدس اراد ان يقيم العلاقة

١ - سورة الاحزاب، آية ٥٣.

٢ - سورة الاحزاب، آية ٣٣.

الاجتماعية الصحيحة بين الرجل والمرأة والتي من شأنها ان تجتث جذور الفساد.

فالحجاب مهمّ وواجب، ولكنه لا يشكل عقبة في طريق المرأة، ولا يمنعها من ان تتحرك وتقدم العطاء مع الإلتزام الكامل بالموازين الشرعية وأحكام الحجاب.

وللأسف فإننا نرفع الحجاب شعاراً وتبريراً لتخلفنا، وسلاحاً ضد مساهمة المرأة في تحمّل مسؤولياتها الاجتماعية والرساليّة؛ كما نرفع أفكاراً وتصورات أخرى سلاحاً ضد مساهمة الرجل في بناء الحضارة والحياة.

ان الآيات التي تحدث فيها القرآن الكريم عن المرأة من زاوية وجوب الحجاب عليها، وحرمة التبرج؛ هذه الآيات تقع في سورة الاحزاب، وهي السورة التي خُصِّصت لهذا الموضوع. فلتأمل هذه الآيات لنرى كيف تحدث القرآن الكريم عن الحجاب:

﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ مَنْ يَّاتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضْلَعُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا﴾ ۝ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَتَعْمَلْ صٰلِحًا نُؤْتِيْهَا اَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ۖ وَاَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيْمًا ۝ يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَاٰحِدٍ مِّنَ الْبِسَاۤءِ ۚ اِنْ اَتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِيْ فِيْ قَلْبِهٖ مَّرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوْفًا ۝ وَقَرْنَ فِيْ بُيُوْتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْاُولٰٓئِ ۚ وَاَقِمْنَ الصَّلٰوةَ وَءَاتِينَ الزَّكٰوةَ وَاَطِعْنَ اللّٰهَ

وَرَسُولُهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا* وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا* إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِينَ وَالْقَنَاتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا^١.

ونحن نلاحظ في الآيات السابقة أن القرآن الكريم تحدث عن الحجاب على ضوء الامور الاخرى التي تطرق اليها، كالعلاقة بين رسول الله ﷺ، وبين نسائه في مجال

علينا أن لا نلغي دور النساء، وأن لا نطلب منهن أن يكتفين بإدارة شؤون البيت ليتحمل الرجل وحده تبعات الحياة.

بعد ان تحدث عن الحجاب اشار مباشرة الى اشتراك المرأة والرجل في

القيام بالواجبات الدينية، فأوضح النقاط المشتركة بين الرجل والمرأة. فكيف يحق لنا ان نغض النظر عن هذه الامور المشتركة، ونركز على نقاط الاختلاف، فننظر الى الحجاب نظرة مغلوبة نستهدف من خلالها ان نبعد المرأة عن مسؤولية القيام بواجبات الحياة.

وحتى فيما يتعلق بالجهاد، فاني لم أجد آية تدل على ان الجهاد

مختص بالرجال. صحيح ان الجهاد كان مقتصرًا في عصر النبي ﷺ على الرجال، ولكن هناك ظروفًا معينة قد تستوجب ان تشترك المرأة في عملية الجهاد من خلال القنوات المناسبة لها، كما تشهد على ذلك مواقف فاطمة الزهراء، وابنتها زينب الكبرى عليهما السلام.

وهكذا فان علينا ان لا نلغي دور النساء، وان لا نطلب منهن ان يكتفين بادارة شؤون البيت ليتحمل الرجل وحده تبعات الحياة. وللأسف فان هذه الفكرة جاءت لتتلاءم مع حب نسائنا للراحة، وانسجاماً مع الثقافة التبريرية الشائعة في اوساطهن، فتخلصن من مسؤولية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بالواجبات الاخرى.. لذا جلسن في البيوت منتظرات أن يأتي رزقهن لهن رغداً. صحيح ان واجبات البيت كانت في السابق اضعف واكبر من واجبات خارج البيت، ولكن المرأة اليوم توفرت لها كل وسائل الراحة، والاجهزة الحديثة التي من شأنها ان تعينها على القيام بواجبات البيت في اقصى سرعة، واقل جهد ممكن؛ فهل هنالك عذر بعد هذا؟

أين يتجسد دور المرأة؟

وعلى هذا يجدر بالمرأة في مثل هذه الاحوال ان تقوم بأي دور

من الادوار التي تسهم في عملية الاصلاح الاجتماعي. إلاّ اننا -للاسف - لانهتم بهذا الجانب، الذي هو من أهمّ الجوانب التربوية والاجتماعية. فالمرأة بإمكانها ان تعلّم اولادها الكثير من دروس التربية السليمة، اما المرأة التي لا همّ لها سوى الغيبة، والنميمة، وتوجيه التهم والافتراءات، فكيف من الممكن ان تربي اولادها التربية الصحيحة، وكيف تستطيع ان تخرج الاجيال المضحية البتلة؟ انها في هذه الحالة سوف لا تخرج إلاّ أجيالاً متقاعسة، كسولة، لا همّ لها سوى اثاره الفتن والمشاكل الاجتماعية، والانغماس في الامور الجزئية التافهة.

ان مثل هذه الافكار والسلوكيات يجب ان تُحذف من حياتنا، لنبدأ حياة جديدة؛ حياة المرأة الرسالية كما يريد الاسلام، وان لا نفرق بين الرجل والمرأة، إلاّ في الامور التي نص عليها الشرع؛ كالحجاب، والتبرّج، وما الى ذلك.

ومن هنا نعود لنؤكد على ان دور المرأة في المسؤولية هو كدور الرجل، لأنّ المسؤولية - كما قلنا - مرتبطة بحريّة الانسان، والمرأة حرة. فهي - اذن - مسؤولة تماماً، كما هو الحال بالنسبة الى الرجل.

عن المرأة والعمل الاسلامي

من المعلوم ان النظرة الاسلامية الى الحياة هي نظرة شاملة؛ فالاسلام لا يرى أي فرق بين ابناء البشر مهما كانت انتماءاتهم العنصرية والاجتماعية، اللهم إلا بعض الفوارق التي ترتبط بطبيعة التنظيم الاجتماعي؛ من مثل قانون الولاية، حيث للرجل - على سبيل المثال - الولاية على أسرته، والامتيازات التي اعطيت للرجل على المرأة، او للمرأة على الرجل.

ومع ذلك فإن ابتعاد المسلمين عن الثقافة الاسلامية الاصلية، وسوء فهمهم لها، كان لهما الأثر الأكبر في ترسخ الكثير من المفاهيم المغلوطة حول الاسلام في اذهانهم. فلقد توغلوا في بعض الافكار والعادات الجاهلية، فقالوا: ان المرأة شر لا بد منه، وفضلوا الرجل عليها. وكل ذلك كان نوعاً من الابتعاد عن النظرة الاسلامية، اعقبته موجة غريبة حوّلت هذا الفعل الى ردّ فعل. فظهرت فئات تطالب بما

أسموه بـ(حقوق) المرأة، وكأنَّ حقوق المرأة مهضومة في الاسلام!
ومن ضمن الفروقات والتبعيضات التي أفرزتها حالة الابتعاد
عن الاسلام فيما يخص المرأة؛ تحديد المسؤولية بالرجال، وخصوصاً
الشباب المثقفين، سواء المسؤولية السياسية ام الاقتصادية ام الدينية..
ومثل هذه الثقافة ما تزال رواسبها في نفوس الكثير من الرجال
والنساء الذين يرون أنَّ دخول المرأة في مجالات العمل الاسلامي انها
يعني تجاوز حدودها، والخروج من تعاليم الاسلام. وهذا النوع من
التفكير ينسجم مع الطبيعة التبريرية لشعوبنا؛ فالمرأة ليس من حقها
التدخل في السياسة، كما ليس من حقها ان تدخل في أي مشروع
اجتماعي.

وهذه الثقافة التبريرية أدَّت الى ظهور السلطات الظالمة في بلداننا.
فشعوبنا تتهرب من المسؤولية باسم او بآخر؛ فالبعض يتذرَّعون بانهم
طاعنون في السن، وآخرون يبرِّرون عدم تدخلهم لصغر سنهم. أمَّا
النساء فيتذرعن بانهن امهات او زوجات، وآخرون يقولون اننا آباء.
وبذلك بقيت الحكومات الظالمة متسلطة على رقابنا. اما اذا شارك
الجميع في تحمل المسؤولية، واندفعوا في مجالات العمل والنشاط،
فحينئذ سوف لا يعود بإمكان أي أحد ان يختلق الاعذار والتبريرات،
وبالتالي فان الأنظمة الطاغوتية سوف تتساقط الواحدة تلو الاخرى.

وللمرأة المسلمة في كل مكان اسوة حسنة في هذا المجال بالمرأة الايرانية ايام الثورة الاسلامية. فقد كانت النسوة الايرانيات يشتركن في المسيرات وهنّ يحملن اطفالهن الرضع، معروضات أنفسهن وأطفالهن لرصاص نظام الشاه المقبور. وهذا يعني ان المرأة الايرانية المسلمة كانت قد قطعت علاقاتها بالدنيا بشكل كامل.

**إنّ ابتعاد المسلمين عن الثقافة
الاسلامية الاصيلية، وسوء فهمهم
لها، كان لها النثر الكبير في ترسخ
الكثير من المفاهيم المغلوطة حول
الاسلام في اذهانهم.**

وهذه البطولات قد استلهمتها المرأة المسلمة من واقعة الطف، عندما حمل ابو عبد الله الحسين عليه السلام طفله الرضيع وتقدم باتجاه العدو، فما كان من الاعداء القساة القلب

إلا ان امطروا هذا الطفل البريء بوابل من سهامهم الحاقدة؛ ليفهمنا الامام من خلال موقفه البطولي هذا، ان دماء أطفالكم ليست بأزكى من دماء طفلي.

لقد أقمنا المجالس الحسينية مئات السنين، وذرفنا الدموع على الطفل الرضيع، وهذه الدموع يجب ان تكون ذات جدوى وفائدة، وان تتحول الى مواقف سلوكية وعملية، وفائدتها تتمثل في ان يدفعنا موقف ابي عبد الله عليه السلام الى التضحية، حتى بأطفالنا الرضع في سبيل الاسلام.

وهكذا فان المسؤولية الكبرى الملقاة الآن على عاتق المرأة

المسلمة؛ ان تدخل ساحة العمل الرسالي والجهاد. فالاسلام لا تقتصر احكامه على الصلاة والصوم والحج والزكاة وما الى ذلك من عبادات، بل يجب ان نضيف الى ذلك التقوى التي هي شرط قبول تلك العبادات، كما يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^١. والتقوى تعني تطبيق جميع الاحكام الاسلامية، ومن اهم هذه الاحكام اليوم الدفاع عن الاسلام، ونشر كلمة التوحيد، وجعل كلمة الله هي العليا، وهذا لا يمكن الا من خلال اسقاط الطواغيت.

والمرأة ليست معذورة في عدم تحملها لمسؤولية العمل في سبيل الله. فهذه المسؤولية لا تقتصر على الرجال فحسب، كما انه ليس من الضروري ان يعطي الرجل للمرأة الضوء الاخضر للمشاركة في ذلك، بل عليها ان تبادر من تلقاء نفسها. فهي ليست معذورة في عدم اداء مسؤوليتها الواجبة في الدفاع عن الاسلام اذا ما منعها والدها او اخوها او زوجها. فإنه «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَائِقِ»^٢. كما يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام).

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة توبّخ الكافرين لانهم اتبعوا آباءهم بالباطل. وعلينا نحن ان لا نكون مصداقاً لهذا التوبيخ.

١ - سورة المائدة، آية ٢٧.

٢ - دعائم الإسلام، ج ١، ص ٣٥٠.

وبالطبع فاني لا اقصد هنا ان نخرج عن المألوف، وان نرفع عقيرتنا
بصر خات الاحتجاج ضد اولياء امورنا، بل علينا ان نتبع الحكمة في
ذلك من خلال ارضاء اولياء الأمور بطريقة او بأخرى. ولكن جوهر
الامر - وهو خدمة الاسلام - لا يمكن ان يسقط بأي حال من
الاحوال. فنحن لسنا معذورين في ترك **التقوى تعني تطبيق جميع
الاحكام الاسلامية، ومن
اهم هذه الاحكام اليوم هو
الدفاع عن الاسلام.**

هذا العمل هو بمنزلة الصلاة والصوم وسائر العبادات الواجبة.
والمرأة باستطاعتها ان تقوم باعمال رسالية كثيرة؛ كالتوجيه الديني
والاجتماعي، وتقديم الخدمات الاجتماعية.. ولكن -وللاسف
الشديد - فان مشاركة المرأة المسلمة ضئيلة حتى في هذه المجالات،
رغم ان باستطاعتها ان تجمع بين عملية ادارة شؤون البيت والقيام
بتلك الاعمال. اما ان تجلس وتثر الكلمات والعبارات التبريرية
السلبية، فان من السهل على كل انسان ان يفعل ذلك، فيلغي قدرته،
ويجمّد مواهبه وطاقاته. وهذا هو ما أراده الاستعمار لنا. فلقد استهدف
ان يسلب ايماننا وثقتنا بأنفسنا، ويجمد قدراتنا، ويوقف نشاطنا.

وهكذا فان على المرأة المسلمة ان تفجر طاقاتها، وان لا تكون
حبيسة بيتها، وتقيّد نفسها بالاوهام والمخاوف من اقتحام الساحة

الاجتماعية والسياسية؛ وذلك من خلال الاقدام، وتدريب نفسها على تلك الاعمال، وتنمية مواهبها. فعليها ان لا تنتظر احداً ليعظها ويوجّهها، فالانسان يجب ان يكون المربي الاول لنفسه.

وها هو ذا القرآن موجود بين ايديهن، وبامكانهن ان يربين أنفسهن في هذه المدرسة العظيمة، بالاضافة الى الاحاديث والادعية. وبعد هذه المرحلة؛ أي مرحلة التنمية الذاتية، عليهن حينئذ ان يتوجهن الى النساء الاخريات من خلال اقناعهن بضرورة العودة الى ساحات العمل عبر الاساليب المختلفة. وخصوصاً الامهات، ذلك لان المرأة **باستطاعة المرأة ان تقوم باعمال** **رسالية كثيرة؛ كالتوجيه الديني والاجتماعي، وتقديم الخدمات الاجتماعية.** عندما تصبح أمّاً فانها تجد لنفسها مجالاً اكبر للتبرير والتملّص من المسؤولية بحجة ان مسؤولية ادارة

شؤون البيت، واداء حقوق الزوج، وتربية الاطفال تقع عليها. في حين ان بإمكانها ان توفق بين هذه الاعمال، وبين اداء العمل لديها ورسالتها.

وبهذا الاسلوب على المرأة ان تدخل الساحة، فتخرج بذلك من جمودها، وبالتالي من اطار الثقافة التي حددتها وسلبت منها ثقمتها بنفسها، وايمانها بطاقتها وقدراتها. وعندما ينوي الانسان المساهمة والمشاركة في العمل الرسالي فان الله جل اسمه، سوف يوفّقه ويهديه

بدوره كما وعد بذلك قائلاً: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^١.

وحينئذ ستكتشف المرأة أنَّ أمامها سبلاً كثيرة ومختلفة بإمكانها ان تقتحمها، وأن تقوم بدورها فيها. فهي تستطيع ان تمارس الكتابة،

ان على المرأة ان تجرب العمل

الرسالي يوماً، وحينئذ سوف

تكتشف كيف انه سينقذها

من الفراغ الثقافي والا هدية

في الحياة.

والخطابة، وان تسهم في دعم الحركات

الرسالية هنا وهناك، وهذا ما يشهد به

التاريخ القديم والحديث. فقد كان

للمرأة الدور الفاعل في تاريخ صدر

الاسلام، بل وفي التاريخ الاسلامي برمته، فلماذا - اذن - لا تشارك

المرأة المسلمة المعاصرة في العمل الرسالي اسوة بالرجل، وهذا تاريخنا

الاسلامي المشرق قد لعبت فيه المرأة دوراً فاعلاً في تسجيل ملاحمه

وبطولاته وصوره المضيئة المشرقة؟

ترى اين المرأة المسلمة المعاصرة من النساء اللاتي سَطَرْنَ الملاحم

والبطولات الخالدة عبر التاريخ الاسلامي المديد، مثل فاطمة

الزهراء عليها السلام، وزينب، وخديجة الكبرى، وأم سلمة؟ انها للأسف

الشديد جالسة في البيت، خائفة فيه، منطوية على نفسها، منشغلة

بالامور التي لا تغني ولا تسمن من جوع.

ان على المرأة ان تجرب العمل الرسالي يوماً، وحينئذ سوف

تكتشف كيف انه سينقذها من الفراغ الثقافي واللاهديه في الحياة..
كما انه سيجعلها تعكف على تربية نفسها، وتنمية مواهبها، وتفجير
طاقات النساء الاخريات اللاتي يعشن في الوسط الذي تعيش فيه،
وتعبئة هذه الطاقات في طريق العمل الاسلامي جنباً الى جنب
طاقات الرجل. وبذلك سوف تشعر بوجودها فتصنع الكثير من
الاعمال والانجازات.

المرأة الشاهدة على عصرها

من الظواهر المؤسفة في الساحة الاسلامية، ان امتنا بما تملك من طاقات وقوى بشرية هائلة، لا تزال غائبة عن الساحة السياسية؛ سواء في ادارة شؤونها، أم في المساهمة الفعالة في تقرير مصير العالم. ان العالم تتناوب عليه اليوم القوى الجاهلية المتصارعة في الشرق والغرب، وهذه القوى تسعى جاهدة من اجل تدمير الحضارة البشرية، وتضليل الانسان وفصله عن القيم المعنوية السامية. ولولا بقية من اولي البصائر الناهين عن الفساد في الارض، لأصبحت الحياة على وجه الارض مهددة بالفناء.

ان خمسة عشر طناً فقط من الاسلحة البيولوجية، التي يملك العالم اليوم آلاف الاطنان منها، كافية لإنهاء الحياة فوق الكرة الارضية. وهذه الحقيقة وغيرها تكشف لنا عن ان البشرية تنحدر - وبسرعة هائلة - نحو هاوية الفناء، وليس هناك من يقف امام هذا الانحدار

غياب الامة عن الساحة

ان الامة الاسلامية التي هي اقرب الأمم الى الرسائل السماوية، من الممكن ان تكون هي الامة المرشحة لإيقاف مسيرة الانحدار في العالم. ولكنها - للأسف - غائبة اليوم عن الساحة، وليس لها أية مساهمة فعالة في الاحداث التي تجري من حولها. بل والادهى من ذلك، انها لا تؤدي أي دور يُذكر في تقرير مصيرها هي. هذا على الرغم من ان الله سبحانه وتعالى أراد لهذه الامة ان تكون شاهدة على العالم، حيث يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^١.

ان العالم تتناوب عليه اليوم
القوى الجاهلية المتصارعة
في الشرق والغرب، وهذه
القوى تسعى جاهدة من اجل
تدمير الحضارة البشرية.

ترى كيف حدثت هذه الغيبة عن الساحة، واين هم المسلمون الآن؟ اين اولئك الذين جندوا جيشاً جرّاراً يشهد له التاريخ بالعظمة بمجرد ان امرأة مسلمة استغاثت بأحد حكام المسلمين؟! أين اولئك الذين كانوا يطبقون احاديث رسول الله ﷺ احساساً وعملاً وتعبئة لطاقتهم؟

الجواب: ان هذا الغياب لم يظهر مرة واحدة، بل بشكل تدريجي. ففي البدء قالوا للعجزة والمتقدمين في السن: انتم شيوخنا وسادتنا، فاجلسوا في بيوتكم ونحن نكفيكم ونقوم بالاعمال المطلوبة. ثم قالوا للمرأة: ان افضل مكان لك هو البيت، فلا تخرجي منه، والاسلام لم يوجب عليك مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر خارج البيت، فما كان منها إلا ان جلست في بيتها حتى اخرجها الاعداء لمحاربة الاسلام. فكان محرماً عليها ان تخرج لتؤدي صلاة الجماعة والجمعة، فأخرجوها الى دور السينما ومراكز اللهو، وجندوها في مختلف الوظائف للعمل ضد الاسلام!

وهكذا فقد كان من نتيجة غياب المسلمين ان خسروا المرأة التي تشكّل نصف الأمة الاسلامية.

ثم جاؤوا بعد ذلك الى شباب المسلمين فقالوا لهم: ما لكم والجهاد؟ ما لكم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ ان هذه الامور تخص العلماء ورجال الدين. ثم قالوا لعلماء الدين: ما لكم والسياسة؟ ان مكانكم هو المسجد ولا شأن لكم بما يجري من أحداث في المجتمع!

وهكذا استطاعوا شيئاً فشيئاً ان يبعدوا كل ابنائنا عن ساحة العمل السياسي والاجتماعي. ونحن عندما اعتزلنا وغبنا عن الساحة السياسية، جاءت القوى الجاهلية لتملاً هذه الساحة. فعندما يجلس البررة في بيوتهم، فان الفسقة والفجرة سيأتون وسيسيطرون على مقاليد الامور. ومشكلتنا اننا تركنا هؤلاء يحكموننا، وسمحنا للقوى الكبرى بأن تسيطر علينا. والذنب هو ذنبنا، لان الاسلام لم يرض لنا ان نُذَلَّ ونُسْتَعَبَد من قبل الآخرين، وقد قال لنا امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: «لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا»^١.

وهناك تقرير قديم لوزارة المستعمرات في بريطانيا يقول: ان من نقاط ضعف الشرق، والتي يجب ان نستغلها، هي روح الكسل واللامبالاة. وهذا التقرير يعني ان القوى الاستكبارية لم تستطع ان تستعمرنا إلا بعد ان سمحنا لها بذلك.

وقد كان للمرأة نصيب لا يُستهان به في تأخير وتخلف الامة الاسلامية وخضوعها للسيطرة الاستعمارية. هذا في حين ان الاسلام يهيب بالمرأة قائلاً: أيتها المرأة ارجعي الى واقعك، وعودي الى خندقك، وساهمي في تقرير مصير أمتك.

فالمرأة عندما تدخل الساحة، فان دخولها هذا سيكون دافعاً

١ - نهج البلاغة [صبيح الصالح]، قسم الوصايا والرسائل، رقم ٣١، وصية الامام لابنه الحسن عليه السلام، ص ٤٠١.

للرجل الى ان يشارك مشاركة فاعلة في هذه الساحة. وفي هذه الحالة لا يعود بإمكان الشاب ان يقول: لا انخرط في سلك العمل الرسالي، لان زوجتي ترفض ذلك. **وهكذا فقد كان من نتيجة غياب المسلمين ان خسروا المرأة التي تشكل نصف الذمة الاسلامية.** ولا يستطيع الرجل الامتناع عن القيام بالنشاطات الدينية بحجة انه لا يعلم اين يضع زوجته ومن يعيلها في غيابه، ذلك لان زوجته سوف تدفعه الى الإقدام والفاعلية في مسيرة العمل الاسلامي.

أسوة حسنة

وللمرأة المسلمة اسوة حسنة، في تلك المرأة البطلة التي كانت تشجع زوجها (وهب) في يوم عاشوراء قائلة له: «قاتل دون الطيبين حرم رسول الله»^١. وكذلك (الخنساء) الشاعرة المعروفة التي دفعت بابنائها الأربعة الى سوح الجهاد، فاذا بهم يُقتلون جميعاً دون ان تذرف عليهم دمعة واحدة، في حين انها بكت اخاها صخراً سنوات عديدة في الجاهلية. لماذا؟ لأنها كانت تقدّر قيمة الجهاد في سبيل الله ومقام الشهادة في يوم الحساب، فقد قالت لأبنائها مشجعة إياهم على الجهاد:

«يا بني، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين،

وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل

في حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطربت لظى على سياقها، وجللت نارا على أوراقها، فتيّموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة»^١.

ولو سُئِلت عن ذلك ربما اجابت: ان اخي مات على الكفر فهو في النار، ولذلك بكيت عليه. اما اولادي فقد ذهبوا الى الجنة، فلماذا ابكي عليهم؟

وفي الحقيقة فان المرأة الفاعلة، الحاضرة، الشاهدة، والشهيدة، هي التي صنعت تلك الانتصارات. وصدق من قال: «وراء كل رجل عظيم امرأة».

وبلا أي منافس جُعِلت فاطمة الزهراء عليها السلام قمة كل اسوة في عالم المرأة. والاحاديث والنصوص الواردة فيها اوضحت ذلك، فكانت مدرسة لكل امرأة في حياتها. فهذه المرأة العظيمة جسدت

الوحي بكلّ إبعاده، ولقد كان رسول الله ﷺ يقول فيها: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، مَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ غَاظَهَا فَقَدْ غَاظَنِي، وَمَنْ سَرَّهَا فَقَدْ سَرَّنِي»^١، وقال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَغْضَبُ لِعُضْبِ فَاطِمَةَ وَيَرْضَى لِرِضَاهَا»^٢. ومثل هذه الاحاديث وغيرها تدل دلالة واضحة على ان هذه المرأة كانت تطبق الاسلام، وتجسّد تعاليم الرب في كلّ خطواتها وافعالها.

ان رسول الله ﷺ الذي جعله الله تعالى مربياً للأمة الاسلامية، قد صبّ اهتمامه على هذه الشخصية العظيمة، وصاغ بيده الكريمة واشرافه المباشر هذه الشخصية الفذة ليجعلها قدوة للنساء، وقد وصفها رسول الله ﷺ بأنها «سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ». فقول: يا رسول الله هي سيدة نساء عالمها؟ فقال: «ذَاكَ لِمَرِّمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، فَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةُ فَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»^٣.

وذكر المؤرخون أنه بعد ما نزلت الآية الكريمة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ كان رسول الله ﷺ يجيء كل يوم عند صلاة الفجر حتى يأتي باب علي وفاطمة والحسن والحسين، فيقول: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»، فيقول علي وفاطمة والحسن

١- اعتقادات الإمامية [للصدوق]، ص ١٠٥.

٢- معاني الأخبار، ص ٣٠٣.

٣- بحار الانوار، ج ٣٧، ص ٨٥، ح ٥٢.

والحسين عليهما السلام: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»، ثم يأخذ بعضادتي الباب فيقول: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»، فلم يزل يفعل ذلك كل يوم إذا شهد المدينة حتى فارق الدنيا^١.

وقد سميت فاطمة بـ (الزهراء) لأنها كانت تقف كل ليلة في محرابها تتعبد لله عز وجل، وتبتل إليه فتزهر لملائكة السماء كما تزهر النجوم لأهل الارض. ويروي الإمام الحسين عليه السلام عن أخيه الحسن عليه السلام أنه قال: «رَأَيْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا لَيْلَةً جُمُعَتِهَا، فَلَمْ تَزَلْ رَاكِعَةً سَاجِدَةً حَتَّى انْتَضَحَ عَمُودُ الصُّبْحِ، وَسَمِعْتُهَا تَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَتُسَمِّيهِمْ وَتُكَثِّرُ الدُّعَاءَ لَهُمْ وَلَا تَدْعُو لِنَفْسِهَا بِشَيْءٍ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَاهُ لِمَ لَا تَدْعِينَ لِنَفْسِكَ كَمَا تَدْعِينَ لِغَيْرِكَ؟ فَقَالَتْ: «يَا بَنِي الْجَارِ ثُمَّ الدَّارُ»^٢.

ومع ذلك فقد كانت عليها السلام حاضرة في المواقف السياسية، والحوادث العسكرية، والقضايا الدينية والثقافية. فكانت تمثل المرأة المسلمة التي ينبغي ان تكون شاهدة على عصرها، لكي تساهم في تقرير مصير الأمة، وترفض الانحراف، والشرك والضلالة، وكل انواع الكفر والنفاق والفسوق.

١- تفسير القمي، ج ٢، ص ٦٧.

٢- علل الشرائع، ج ١، ص ١٨٢.

ان فاطمة عليها السلام يجب ان تكون قدوة لنسائنا اليوم، ولبناتنا وفتياتنا. والحمد لله على هدايته لجيل من الفتيات المسلمات في العالم الاسلامي، فنحن نجد الآن ان المرأة المسلمة هي أحسن مما كانت عليه سابقاً؛ فهي تتواجد في المساجد، وتشترك في المجالس الدينية، وتساهم في اعمال الخير والاحسان، بل اننا نجد بعض النساء يقتحمن ميادين العمل الرسالي من أجل اصلاح المجتمع واعادته الى حظيرة الاسلام. ومع ذلك فان المسافة ما تزال شاسعة بين المرأة وبين الخندق الحقيقي الذي ينبغي عليها ان تتواجد فيه، وما يزال على المرأة ان تقطع هذه المسافة لتكون بالفعل شاهدة على عصرها.

ولا ريب؛ لولا غياب أمتنا الإسلامية عن فرائضها الرسالية، ولولا انهم لم تجعل نفسها شاهدة على عصرها، لما حلت بنا هذه المصائب، ولما استضعفتنا القوى الجاهلية في الارض، ولما اعدموا خيرة شبابنا، ولما تجرأ الحكام العملاء على ان يفعلوا ما فعلوا، ويرتكبوا ما ارتكبوه.

من هنا يجدر بنا ان نساهم في قيادة الارض، فالارض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين، فأين هم عباد الله الصالحون، ولماذا لا يتقدمون باقدام ثابتة لكي يأخذوا بزمام امور العالم من هؤلاء الذين يدفعون به الى الهاوية؟

ان فاطمة عليها السلام يجب ان تكون قدوة لنسائنا اليوم، ولبناتنا وفتياتنا.

المرأة المؤمنة أدوار متميزة

حينما يُلغى تصور دور الأمومة ومواصفاته المرسومة في العقيدة الإسلامية من قاموس ثقافتنا، ولا نعرف الطريق لتربية وإعداد المرأة لتكون الأم المثالية، فإنها ستصبح أمّاً لكن لا يعدو دورها أن تكون مجرد وعاء للإنجاب؛ لها حنانها وعطفها واهتمامها المادي بالوليد فحسب.

حينما يقتصر دور المرأة عند هذا الحدّ، فإن المجتمع لن يحصد غير العواصف الهوجاء التي من شأنها أن تقلب المعايير والثوابت رأساً على عقب. وسوف لن تكون ثمرة فرصة لاستدراك ما فات، اللهم إلا بعد أن يدفع المجتمع الثمن أضعافاً مضاعفة. ولن يحصد المجتمع من وجهة النظر التاريخية إلا أجيالاً محطمة عاجزة عن مقاومة هوى النفس، ولا تنظر للمرأة ذاتها من غير المنظار الشيطاني.

فإذا طمحننا الى تكوين وصياغة المجتمع الإلهي المثالي؛ المجتمع

الحر السعيد المتفتح، فأماننا واجب تربية وإعداد الأم المثالية السامية والواعية لشخصيتها ودورها الهام والمقدس في صياغة شخصية الأجيال صياغةً منيعة.

إننا لا نجد حديقة غناء، ولا بستاناً مثمراً، ولا أرضاً زراعية خيرة أبداً ما لم يكن وراءها زارع أو بستاني خبير ورشيد قادر على استصلاح الأرض واختيار النبات المناسب والوقت المناسب والسماح المناسب.. إذ الأرض لوحدها ليست الأساس، وهي لا تنبت غير الحشائش والأشواك والأشجار غير المثمرة.

ومن خلال التدبر بالآيات القرآنية الشريفة نستنتج أنَّ الأم -كمصطلح ديني - هي تلك الإنسانية التي بمقدورها تربية جيل نزيه عن الموبقات، ومحب للخيرات. فالقرآن الكريم حينما يحدثنا عن قصة النبي العظيم موسى عليه السلام، وعن ذلك الانقلاب الكبير الذي حدث في مصر القديمة، إنما يبدأ بالإشارة الواضحة الى ام موسى بقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾^١، باعتبارها منطلق القصة النبوية العظيمة.

ومن هنا توضح الآيات الكريمة، بما لا لبس فيه أن دور الأمومة لا يبدأ من حين الولادة، بل لعل الأمومة تبدأ منذ استعداد المرأة لأن تصبح زوجة، ثم من علوق النطفة في الرحم.

قصة الفضيلة

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾^١.

فامرأة عمران بمجرد إحساسها بالحمل نذرتة الى الله تبارك وتعالى، معتبرة إياه وسيلة للتقرب الى الرب الجليل، وليس جزءاً تابعاً لها. فهي قالت: ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾ ولم تقل (ولدي) أو (جنيني) أو (حملي).

وهذا منطوق قرآني يعبر بدقة وبلاغة متناهية عن درجة إيمان زوجة عمران. ثم إنَّ هذا المنطوق القرآني المجرّد لم يشر الى وجود

إِنَّ الِأَمْرَ - كَمَصْطَلَحٍ دِينِي - هِيَ
تلك الإنسانية التي بمقدورها تربية
جيل نزيه عن الهوى، ومحب
للخيرات.

رغبة خاصة لدى امرأة عمران في أن يكون وليدها خادماً لمسجد أو كنيسة أو معبد ما، وإنما هي نذرت نذراً مجرداً خالصاً تبعاً لإيمانها المجرد والخالص لله عز وجل، ولكن شاءت الأقدار أن يكون الوليد -مريم- خادماً لمسجد، تماماً كما كان الحال بالنسبة لأسلافه الطاهرين إبراهيم وإسماعيل عليه السلام، حيث أمرهما الله عز وجل بأن يطهرا بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود، بعد أن قاما بإقامة هذا البيت.

أهداف مقدسة

فأم مريم الصديقة كانت تهدف من خلال نذرها وليدها الى تحقيق امور مقدسة وسامية، وليست أموراً شخصية؛ منها أن يكون وليدها من خدمة دين الله وبيته، حيث ممارسة العبادة وتعليم الناس الكتاب والأخلاق. ومن أهدافها أنها كانت تطمح الى أن يتقبل الله منها نذرها، إذ هي كانت ذات إيمان قوي وعلاقة مباشرة بالرب المتعال، وهو ما يُدعى بإيمان الدعاء، وليس تلفظ الدعاء فحسب.

وإذ حانت ساعة الولادة وعرفت الأم الصديقة أن جنينها انشئ، لم تنفوه إلا بالقول: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^١.

وكانها تشتكي الى الله عمق المأساة المسيطرة على المجتمع اليهودي بفعل الاباطيل التي اخترعها رجال الدين اليهود البعيدون كل البعد عن ديانة السماء القائلة بعدم التمييز العنصري بين الرجل والمرأة. وبنص التوراة المحرّفة اعتبروا المرأة أداة لتحقيق طموحاتهم السياسية والمالية. فضلاً عن بقية التشريعات الباطلة فيما يخص الجانب الإجتماعي، حيث تتحول المرأة عندهم الى أشبه ما تكون

بالجارية لآخ زوجها المتوفى، وأن من حق هذا الآخ ضمّ زوجة أخيه الميت الى ممتلكاته.

المرأة المؤمنة تقهر التحديات

ورغم سيطرة هذه الصورة القائمة، فإن التعبير القرآني البارع نزل ليؤكد عظمة المرأة إذا ما أرادت تحدي الظروف الظالمة. فأم مريم انتقلت بطموحها من مجرد أن تكون ابنتها خادمة لدين الله ومسجده الى أن تكون هذه البنت وذريتها اللاحقة من البعيدين عن الشيطان وجنوده وأباطيلهم، لتتحول الوليدة الى صديقة على درجة عالية من الايمان والوعي والتقوى.

وهذا لعمرى أعلى ما يمكن أن يطمح الانسان الى بلوغه، فضلاً عن كونه رجلاً أو امرأة. وهذا يعني بالتالي أن من يصرّ على احتقار أو استضعاف المرأة عملياً، إنما هو في الواقع بعيد كل البعد عن حقيقة إرادة السماء. وفي سلوكه الشائن هذا، يعمل على تكريس عادة جاهلية جاء الاسلام لمحقها. وهذه الأديان السماوية، إنما قامت بجهد كبير بذلته نساء عظيمات كأم موسى واخته وزوجة عمران وبناتها مريم وخديجة الكبرى وبناتها فاطمة الزهراء سلام الله عليهن جميعاً. فهذه أوعية اصفهاها الله لتحمل أنواره وكلماته، وليس هذا بالأمر البسيط أبداً.

والى هنا كان دور الام دوراً ممتازاً بما اختزل من بصيرة ووعي فائقين، ولكن الأعظم منه أن الله سبحانه وتعالى تقبل النذر واستجاب الدعاء بأروع ما يكون القبول، وأقدس ما تكون الاستجابة. فالام التي تجاوزت عاطفتها تجاه ابنتها، واهتمت بالدين اكثر من اهتمامها بذاتها، تحفها الله بالقبول الحسن، حيث يقول تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَثْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾^١. فهذه البنت المحاطة بالايان، ووعي التقرب الى الله تبارك وتعالى، كانت حريّة أن تنبت النبات الحسن.

ثم قال ربنا عز وجل: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾^٢، قد اختار الله تعالى النبي زكريا ﷺ ليكفل مريم ؑ، من بين جميع من امتحن نصيبه في التشرف بكفالة الصديقة الصغيرة مريم.

ثم إن سيرة مريم ودرجة إيمانها أذهلت النبي زكريا الذي كان يربعاها ويحافظ عليها، وكثيراً ما سألها عما لديها من رزق كان من المفترض ان يوفره لها.. وكانت تجيبه بان ما لديها هو من عند الله وليس سواه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ

١ - سورة آل عمران، آية ٣٧.

٢ - سورة آل عمران، آية ٣٧.

يَغَيِّرُ حِسَابٍ ﴿١﴾.

مريم معلمة للنبي زكريا؟

لم يتنبه النبي العظيم الى أن الطفلة الصغيرة تحولت بفعل منبتها الحسن وإيمانها العميق الى معلمة له؛ وسواء كان الطعام والرزق الذي كان بين يديها قد نزل اليها من السماء مباشرة أو بواسطة إنسان

ساقه الله اليها على غيبة من النبي

هناك مواصفات مثالية، ينبغي للمرأة كأم أن تتحلّى بها لهضاعفة النول في تهكّنها من أداء دورها بالدرجة المطلوبة.

زكريا، فانها كانت تعتقد برسوخ

ثابت أنه من عند الله، ولم يكن

إيمانها ليسمح لها أن تحتل احتمالاً

آخر. فالله يرزق من يشاء بغير حساب، بعيداً عن الموازين المادية ومعادلات التجارة المعروفة بين بني البشر.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ

سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢﴾.

فبعد مدة ليست بالقصيرة، فوجئ النبي زكريا الذي كان لم يرزق

الذرية بعد، بحقيقة واقعة؛ وبأنه من الحريّ به جداً أن يقلد مريم في

إيمانها، إذ أن من يرزق طفلة صغيرة معتكفة في محرابها لقادر على أن

يمنحه الذرية بعد مديد من العمر.

١ - سورة آل عمران، آية ٣٧.

٢ - سورة آل عمران، آية ٣٨.

من خصائص الام الحقيقية

ونخلص الى القول بأن هناك مواصفات مثالية، ينبغي للمرأة كأم أن تتحلّى بها لمضاعفة الأمل في تمكّنها من أداء دورها بالدرجة المطلوبة، ومن هذه المواصفات:

أن تكون المرأة طاهرة عفيفة كما يصف الامام زين العابدين عليه السلام نفسه بقوله: «أَنَا ابْنُ قَلِيلَاتِ الْعُيُوبِ نَقِيَّاتِ الْجُيُوبِ»^١، أو كما نسلم على الامام الحسين عليه السلام حسب نصوص زيارته: «لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهَمَاتُ مِنْ ثِيَابِهَا»^٢. فهذا إنمّا يكون من امهات طاهرات فاضلات نقيات قبل الحمل وايام الحمل وبعد الحمل. فالأم التي تقرأ القرآن الكريم، غير تلك التي تضيع وقتها في سماع الموسيقى والأغاني. ومن تتحدث بأحاديث الاخلاق والايمان، تختلف عمّن لا قدرة لها على مغادرة مجالس الغيبة والتهمة والتهريج واللغو.

بعد ذلك؛ على الأم أن تهتم اهتماماً بالغاً بحالة جنينها أو طفلها الصحي، إذ لعل معظم ما يحصل من تشوهات جسدية للطفل إنمّا يحصل بفعل الاهمال الصحي وقلة وعيها بهذا الجانب، غافلة عن أن وليدها سيعيش سبعين عاماً - مثلاً - في ضعف ومرض وزمانة،

١- مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ١٢.

٢- تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١١٤ (في زيارة الأربعين).

وأنها ستكون مساهمة فيما يمكن أن يقترفه من ذنوب جراء ما يحمله من عقد ونقائص روحية حدثت بالتبع لنقصه الجسدي.

وبين هذا وذاك؛ ينبغي أن تكون للرجل رقابة على تربية الأولاد، وأنه يجب ان يعرف نصيبه - بوعي بالغ - من هذه التربية.

وبعد ذلك؛ ثمة قضية خطيرة جداً، ومن الممكن أن تعود بالسلب على نفسيّة الطفل، وهي إصرار بعض الآباء والامهات على التنازع أو حلّ التنازع على مرآى من الطفل، غافلين أو متغافلين عن أن مثل هذا الواقع من شأنه زرع بذور الانفصام في شخصية الأولاد، فضلاً عن استفحال أمراض الخنوع والجبن والكسل لديهم. هذا إن لم نقل بإمكانية تحول الاطفال الى الضفة الاخرى، وهي ضفة التهور والإجرام والرديلة.

نسأل الله سبحانه وتعالى ان يجعلنا ممن ينتفع بسنن الأولياء ويهدى الصالحين، وأن يجعلنا نهتدي بهداهم ونقتدي بهم في الدنيا وننال شفاعتهم في الآخرة.

الفصل الثاني

عن التربية

١ - دور الأم في التربية

٢ - كيف نربي الجيل الناشئ؟

٣ - الاسرة بيت النور الالهي

٤ - التقوى أساس التربية

٥ - التربية الصالحة ضمان الاستقامة

٦ - التربية الصالحة ضمان السعادة



دور الأم في التربية

لقد استطاعت عواصف التضليل الثقافي - مع شديد الأسف - اجتياح معتقدات شعوبنا وتقاليدها. ففي كل يوم تواجهنا تقليعة جديدة واسلوب جديد ووسيلة جديدة. فإن كانت محطات التلفزة الموجهة إلينا مائة محطة في العقد الماضي، فهي اليوم قد تضاعفت عشرات المرات. وإذا كان انتشار الانترنت في الأمس بسيطاً، فهو اليوم هائل.

إن استراتيجية تحويل العالم برمته الى عالم صغير، أو ما يسمّى اليوم بسياسة العولمة، حيث تحذف الحواجز والفوارق، هذه الاستراتيجية لا يكمن وراءها سوى إخضاع الشعوب، أو تحطيم الخصوصيات التي تمتاز بها الأمم المستضعفة، وتهميش دينها وثقافتها الأصيلة. وبالفعل فقد نجحت هذه الاستراتيجية الى حدّ كبير في الزحف والسيطرة واستلاب ما تبقى لدينا من قيم روحية واهتمامات معنوية.

أقول - وبكل تألم - : إنّ الانباء التي تواجهني فيما يخصّ هذا البلد المسلم او ذاك مزعجة للغاية، حيث أرى وأسمع كيف تمكنت شبكات الأقمار الصناعية الغربية من جذب المشاهدين - وهم عدد كبير جداً - وهي تغزوهم في عقر دارهم بأفلام الرذيلة والانحطاط الفكري والخلقي، وليس من سرّ أكشفه إذا ما قلت بأنّ تلك الأفلام والبرامج تعمّ الصغير قبل الكبير، والشاب قبل الكهل، حتى أصبح أطفالنا مدمني غناءٍ وموسيقى ورقص، فاستعاضوا بها عن قراءة القرآن، ومطالعة سنّة أهل البيت عليه السلام، وتعلم الثقافة المفيدة.

والآن حيث تلمّسنا شيئاً من واقعنا المريع، فعلى عاتق مَنْ

تقع مسؤولية هذه الهزيمة الاخلاقية والروحية النكراء؟

إنّ الخيار الوحيد المتاح

لمواجهة تيارات الانحراف

هو خيار التربية النسرية.

والجواب لا يعدو القول بأن الجميع

مسؤول ولكن بدرجات متفاوتة. فحكّام الشعوب المسلمة مسؤولون، والشعوب برجالها ونسائها مسؤولة هي الأخرى، والوالدان مسؤولان عن اولادهما، والأخ مسؤول، والاخت مسؤولة، والأولاد بدورهم مسؤولون.

ولكن لما كان إطار بحثنا يختصّ بالتربية، ولما كان البيت ونطاق الاسرة ومستوى تأثير الأمّ المتوقّع على اطفالها، آخر ما تبقى من

وسائل في التربية - وإن كان أهمها - **إنَّ إشراك الأطفال في الحضور مع أمهاتهم وأبائهم في مجالس الوعظ الديني والعلمي، فهذا الأمر هو النذر له أثر كبير في صياغة شخصية الطفل..** وقد كبروا وأصبحوا رجالاً بعد

عشرين عاماً مثلاً، وهم على ما هم عليه من تأثر بليغ بثقافة الانحطاط المحيطة بهم، فماذا سيكون جوابهنَّ أمام محكمة التاريخ؟ بل الأخرى التساؤل عن طبيعة موقفهنَّ أمام محكمة العدالة الإلهية يوم القيامة، حيث يواجهن جيلهنَّ بتهمة التفريط والتقصير في فريضة التربية السليمة، وهنَّ على الأقل كنَّ قادرات على منع أجهزة الانحراف والثقافة المائعة من الدخول الى بيوتهنَّ.

الواقع المشهود أنَّ اهتمام الأمهات - بصورة عامة - منصب على توفير أفضل ما يمكن من طعام وملبس للأطفال، وأنهنَّ يعانين ما يعانين إذا ما أصيب احدهم بعلّة او وجع خفيف في جسمه، في حين أنَّ هذا الأمر إذا كان ملحاً، فإنَّ الأمر الأكثر إلحاحاً هو الاهتمام والعناية بروح الطفل وعقله، إذ من الخطأ الفادح تصوّر الأطفال دون عاطفة او عقل. فالطفل مؤهّل لتلقي التربية واستيعاب التعليم منذ احتضان المهد إيّاه، كما أكدت ذلك روايات أهل البيت عليهم السلام الخاصّة بالتربية وطلب العلم، حتى نُسبَ الى رسول الله صلى الله عليه وآله القول

المشهور: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ». وهذا القول الشريف ليس إلا دعوة صريحة للأباء والأمهات لطلب العلم والتربية للأولاد منذ وقت مبكر للغاية.

إنّ الخيار الوحيد المتاح لمواجهة تيارات الانحراف هو خيار التربية الأسرية، فمراكز التوجيه الاستراتيجي في الغرب قد سلبتنا كل شيء، بدءاً بالمدرسة والصحيفة والمحطات المرئية والمسموعة، وانتهاءً بأجهزة التوجيه الحديثة حيث الحاسوب وآليات الاستفادة منه

ما أروع ان يخصص النبأ
والنمّهات من اوقاتهم قسماً
كبيراً لنقل قصص الأنبياء
وأهل البيت والصالحين من
أولياء الله على مسامع الأطفال.

كالهواتف الذكية التي تقع تحت توجيهاتهم المباشرة، لقد سيطروا على كل شيء ولم يتبقّ لدينا سوى التربية البيئية، وقد يأتي يوم من الأيام فيسلبونا حتى هذا المتبقى كما هو حادث في بلدانهم هم، حيث تتدخل تلكم المراكز في كلّ صغيرة وكبيرة في حياة العائلة الغربية لتوجه أطفالها كما يحلو لها، ساعية الى تعميق الهوة ما أمكن بين الطفل ووالديه.

ولكن ما هي الخطوط العريضة التي ينبغي للأم المسلمة الالتزام بها مبدئياً على صعيد التربية؟

الخط الأول: أن تنهض الأم بمستواها الثقافي هي قبل كلّ شيء.

فما دامت جاهلة بالتعاليم والقيم الدينية ستبقى عاجزة عن التربية والعطاء، إذ أنّ فاقد الشيء لا يعطيه. ومن الممكن التأكيد على أنّ إيجاد مراكز علمية متخصصة بهذا الشأن. سيكون له الدور الكبير في انجاز هذه المهمة، وأمّا الأمهات اللاتي لا يستطعن الحضور في مثل هذه المراكز، فبأماكنهم الاطلاع ودراسة العلوم الدينية والتربوية عبر أشرطة الكاسيت او الاقراص الممغنطة او المعاهد الموثقة عبر الانترنت دراسة منزلية.

الخط الثاني: إشراك الأطفال في الحضور مع أمهاتهم وآبائهم في مجالس الوعظ الديني والعلمي، فهذا الأمر هو الآخر له أثر كبير في صياغة شخصية الطفل وترسيخ قول الخير في ذاكرته، حتى تكون رصيдаً غنياً ينعكس على سلوكياته ومعتقداته في المستقبل.

ولقد اذكر جيداً أنّ جدي المرحوم آية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي قدس الله روحه، وكان أحد مراجع الدين الكبار في زمانه، نقل لي أنّ والدته كانت تنهض لأداء صلاة الليل فتجلسه على سجادة الصلاة معها لمجرد ان ينظر اليها وهي تصلي، حتى أنه تعود على هذا المنظر المقدّس. فكان مواظباً على أداء صلاة الليل الى آخر يوم من عمره الشريف، بل لم تكن لديه القدرة على تركها.

وهذا يعني - فيما يعني - أنّ التربية والتوجيه لا يشترط فيها أن

تكون بالقول، فممارسات الأبوين لها الأثر الأكبر في تكريس قناعات الإنسان واعتقاداته وسلوكياته. وهذا بدوره يمثل خطأً ثانياً من خطوط التربية.

إِنَّ الرِّحْمَةَ وَالْبِرَّةَ إِنَّمَا تَنْتَزِلُ
عَلَى بَيْتٍ مَفْعَمٍ بِرُوحِ الْإِيمَانِ
وَالْقُرْآنِ وَالْهَدْيَةِ وَالْعَوَاطِفِ
النَّبِيلَةِ، لَا عَلَى بَيْتٍ يَضْجُ
بِأَصْوَاتِ الْفَسْقِ وَاللَّانْشِغَالِ
بِتَوَافِهِ الْأَهْوَاءِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

الخط الثالث: تطهير الجو المنزلي واطفاء القدسية عليه، وتجنب الأطفال كل ما من شأنه تدنيس أرواحهم وعواطفهم الشفافة. فالييت يجب ان يتحول الى محطّ للملائكة، بدلاً ان يكون وكرّاً للشياطين.

إنَّ الأجدد أن يشكّل محور العائلة وكبيرها، جلسات العلم وقراءة القرآن في البيت، لا الانسياق مع شبكات التلفزة الموجهة بالثقافة الغربية وبرامجها التي تعود بالضرر - في أغلب الأحيان - . وما أروع ان يخصص الآباء والأمهات من اوقاتهم قسماً كبيراً لنقل قصص الأنبياء وأهل البيت والصالحين من أولياء الله على مسامع الأطفال، وذلك ضمن برنامج توجيهي متقن يتفاعل مع قابلية واستعداد الأطفال الذهني والروحي. وما أروع ان نستعيض عن صور الممثلين والممثلات السينمائيين وصور لاعبي كرة القدم بصور العلماء الأفاضل وأصحاب الفكر والثقافة والإختراعات وكل

خادم للبشرية. بل ماذا يربط الطفل المسلم بمشهور رياضي يربح الملايين ويتنعم في حياته بمختلف الأشكال، وهذا الطفل يئنّ فقراً روحياً ومادياً ومستقبلياً؟ وماذا يربط أطفالنا بممثلة او مغنية لا تجد حرجاً في عرض ما لديها من شرف وحشمة أمام انظار الملايين من المشاهدين لكسب شيء من المال والشهرة؟

ومما يمكن ان أرويه لك في هذا المجال، أن أحد المؤمنين استطاع الى حدّ كبير في الابداع والنجاح في هذا المجال، حيث حوّل بيته الى بيت الملائكة، إذ كان بيته يحوي عدة طوابق يقطن فيها اولاده المتزوجون وبناته المتزوجات وكان قد وزّع مكبرات الصوت على زوايا البيت، فكان يبدأ بقراءة القرآن الكريم في وقت السحر، ليستيقظ الكبار والصغار على صوت كبير عائلتهم ليؤمّمهم في صلاة الصبح. وعود ابنائه على اداء النوافل من الصلوات، ومداومة تلاوة القرآن وقراءة الادعية والزيارات.

إن الرحمة والبركة إنما تنزل على بيت مفعم بروح الايمان والقرآن والمحبة والعواطف النبيلة، لا على بيت يضجّ باصوات الفسق والانشغال بتوافه الأمور الدنيوية، ولقد صدق الله العلي العظيم حيث قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^١.

ويغفل كثير من الناس عن السبب الحقيقي وراء قلقهم النفسي

الدائم وتعب أجسادهم، إذ ما أن تسأل الواحد منهم عن علة عدم اهتمامه بأولاده، حتى يجيبك بأنه لا مجال لديه، أو أنه متعب روحياً وجسدياً، ولكن الحقيقة تؤكد بأن انشراح نفسية الإنسان المسلم لا تكون إلا بالاتصال مع القرآن الكريم والالتزام بتعاليم الدين والايان.

الخط الرابع: تربية الأطفال على حب الآخرين والرغبة في فعل الخير لهم. فالطفل إذا تعلّم أن يكون انانياً او يكره الآخرين، لن يكون إلا نموذجاً للطغاة الذين تربوا في احضان التكبر والبغض والظلم. فالأخلاق تنمو في ذات الإنسان، حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ منه.

وأنا شخصياً حينما يخبرني الاصدقاء عن نجاحهم في انجاز مشروع خيري، أؤكد عليهم بضرورة الدعاء لأبائهم وامهاتهم ومن علمهم حب الخير، فروح التضحية والعطاء والجهاد، إنما كانت تراثاً انتقل إليهم من علمهم.

فيا أيّها الأم؛ يا من وصلت الى هذا المقام المقدّس الرفيع، أطالبك بما طالبك به الدين، أن تعلمي عملاً يكون لك ذخراً صالحاً يوم المعاد، فاجعلي كلّ اهتمامك على غرس حب الآخرين في أطفالك، ليكون كلّ واحدٍ منهم نموذجاً اجتماعياً صالحاً يسعى الى بناء مجتمعه المؤمن

السليم. فعَلَّمِي أطفالك على حبِّ زملائه في المدرسة، وعَلِّمِيهم على حبِّ أقاربهم.

ولتعلّمي أطفالك، بالقول وبالفعل، بأنّ الإيثار وحب الآخرين ليس شرطه أن يكون ذا كمٍّ كبير، بل الأهم هو تكريس روح الإيثار والانفاق والعطاء والاحسان والاهتمام بالآخرين. وقد ورد عن المعصوم قوله الشريف: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^١. فصفة الانفاق والايثار ليست خاصّة بالأغنياء، بل العكس هو الصحيح، إذ كلما ازداد الانسان غنيّ كلما ازداد شحاً إلا من عصمه الله.

ثم إنّ المرأة كزوجة مطلّبة أيضاً بالوقوف وراء زوجها ودفعه بأداء واجباته المطلوبة تجاه ابنائه، حتى تتكامل عوامل تربية الطفل ولا يحس بنقصٍ ما في شخصيته، إذا ما تنبّه الى تغافل أبيه عنه.

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمّهَاتِ»^٢. وأصاب من قال: وراء كل رجل عظيم امرأة.

١- من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٠.

٢- مستدرک الوسائل، ج ١٥، ص ١٨٠.

كيف نربي الجيل الناشئ؟

لقد تراكمت كتل من المسؤوليات على عاتق الانسان لو قصر في أداء واحدة منها لحوسب حساباً عسيراً. ولولا ان الله سبحانه وتعالى قد سبقت رحمته غضبه، لكان ابن آدم يؤخذ على الصغيرة من الخطايا فور تلبّسه بها، غير ان الخالق الرحيم قد أجّل الحساب والعقاب الى يوم معلوم، وهو يوم البعث والنشور، يوم القيامة، يومٌ يجب على الانسان أن يوليّه كل

من المسؤوليات المهمة
الملقاة على عاتقنا هي
مسؤولية تنشئة الجيل
الجديد والحفاظ عليه من
الانحراف والضلال.

تفكيره وجهده للوصول اليه بسلام وأمن.

فأين نحن من تلكم المسؤوليات الملقاة على عواتقنا، وكنا قد تحملناها برضا وطيب خاطر كاملين في عالم سابق لعالمنا الذي نعيشه الآن، وهو عالم الذر، حيث أبت فيه السماوات والارض والجبال تحمل المسؤولية وأمانة قيادة الكون.

ومن المسؤوليات المهمة الملقاة على عاتقنا هي مسؤولية تنشئة الجيل الجديد والحفاظ عليه من الانحراف والضلال، مسؤولية الآباء والامهات عن اولادهم، مسؤولية كل جيل عن الجيل الذي يليه على مختلف الاتجاهات والاحتمالات.

مهام تربوية

وهناك في واقع الأمر جملة اقتراحات وتوصيات، لعلها تقع موقع الفائدة في هذا الإطار، منها:

١- الإهتمام بالتهذيب النفسي والمعنوي

على كل أب أن يبذل في سبيل تربية وتهذيب اولاده من الطاقة والجهد ما يبذله في إطار توفير لقمة العيش لهم. بمعنى أن الأب كما يصمّم ويعمل منذ الصباح وحتى المساء ليصرف ما يكسبه من مال على صحة الاولاد، عليه ان يصمّم ويعمل ويهتم بتنشئة روحهم وتركبة أنفسهم وزرع القيم المثلى في قلوبهم، وحملهم على حبّ الله، والإيمان به إيماناً صادقاً، إيماناً مقروناً بالعلم والاستدلال، غير نابع من التقليد الاعمى الذي سرعان ما يتبخر ويتلاشى عند أبسط امتحان وصعوبة.

والمطلوب في هذا المجال أن يسعى الوالدان الى توزيع الاهتمام بالأطفال، توزيعاً يتصف بالإنّزان. فإذا كان الاب - مثلاً - يعمل

لمدة ثمان ساعات خارج البيت، ويخصّص ثمان ساعات لراحته ونومه وشؤونه، فإنه سيتبقى لديه ثمان ساعات أخرى من الضروري ان يقسمها على الاهتمام بشؤون الاولاد الروحية والمعنوية.

والمال المكتسب، هو الآخر ينبغي توزيعه على الاهتمام بأجسام

وعواطف وروحيات الاولاد.

وليس الآباء لوحدهم مسؤولون عن أطفالهم، بل العلماء والمتخصصون وولاة الأمر في بلادنا الاسلامية هم يجابهون الحياة بهفردهم.

أيضاً مسؤولون عن نشأة الجيل الجديد، من حيث بناء المدارس النموذجية، والمراكز الدينية النشطة، والمتنزهات البعيدة عن المفسد والانحلال، وإقامة الدورات التثقيفية المستمرة والمتماشية مع اصول التربية الدينية والعلمية.

أما أن يحجم عقلاء القوم عن مثل هذه الامور، أو عن الابداع في إيجادها والترغيب في حضورها، أو ان يمتنع الآباء عن تقديم الرشد المادي لإقامة هذه المؤسسات، فإنه من الطبيعي أن يحاسبوا أمام الله عز وجلّ حساباً عسيراً؛ فضلاً عن أن هذا يتسبب في حدوث الهوة العميقة بين الجيل والجيل الآخر، وقد يؤدي الامر الى أن يكون الجيل القديم مصباً للعنات الجيل الجديد.

روي عن النبي ﷺ، أنه نظر إلى بعض الأطفال فقال: «وَيْلٌ لِأَوْلَادِ
آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ آبَائِهِمْ» فقيل: يا رسول الله، من آبائهم المشركين؟
فقال: (لا)، مِنْ آبَائِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَعْلَمُونَهُمْ شَيْئاً مِنَ الْفَرَائِضِ، وَإِذَا
تَعَلَّمُوا أَوْلَادَهُمْ مَنَعُوهُمْ، وَرَضُوا عَنْهُمْ بِعَرَضٍ يَسِيرٍ مِنَ الدُّنْيَا، فَأَنَا
مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَهُمْ مِنِّي بَرَاءٌ^١.

فالآباء قد يكونون مسلمين ظاهراً، ولكن أعمالهم وموقفهم من
أبنائهم قد يطابق عمل ورغبة الكفار حقيقة. بمعنى أن الآباء حينما
يمتنعون بصورة أو بأخرى عن الاهتمام العقلي والنفسي والروحي
بأبنائهم، يكونون قد سهّلوا على الكافرين مهمة نشر الرذيلة
والانحطاط في سلوكيات ومعتقدات الجيل الجديد. بل انهم حينما
يقتصرون على الاهتمام المادي بأبنائهم، فهم لا يُنشِئُون إِلَّا أبداناً
مستعدة للانحراف والتهيه ومحاربة الصحيح ونصرة الخطأ.

٢- الغاء الفواصل بين الوالدين والاولاد

على الآباء أن يردموا الهوة ويزيحوا الفواصل بينهم وبين أطفالهم،
وأن لا يتركوهم يشعرون بأنهم يجابهون الحياة بمفردهم، وذلك
ضمن برنامج علمي وعملي متدرج التطبيق. ومن ذلك أن الآباء
مدعو إلى النزول إلى مستوى أطفاله في إطار اللعب، وقد جاء في

١ - مستدرک الوسائل، ج ١٥، ص ١٦٤، عن: معاني الأخبار، ص ١٠٦.

الحديث الشريف: «مَنْ كَانَ لَهُ صَبِيٌّ فَلْيَتَصَابَ لَهُ»^١. وتؤكد الأحاديث الشريفة الأخرى، ونظريات التربية الحديثة؛ أنّ اللعب والهزل والتنزه إذا كان أمراً بسيطاً بالنسبة الى الكبار، فهو على درجة مهمة من الجدّة بالنسبة للأطفال، من حيث شعروا بذلك أم لم يشعروا. إنّ الطفل بحاجة الى الضحك واللعب وعدم الجدية في سلوكه، بنفس المقدار من حاجته الى الأكل والشرب.

قد يوجّه البعض من الآباء والأمهات الإهانة والتوبيخ لطفل من أطفالهم إذا ما ضحك أو تبسّم في مجلس من مجالس الكبار، ويمنع الأطفال من دخول المساجد أو الحسينيات في بعض الأماكن والمناسبات بداعي الحفاظ على جدية هذه المجالس وهذه المناسبات.. ولكن الكبار يغفلون أو يتغافلون عن أنّ الطفل إذا لم يتضحك في صغره ستركس في نفسه عقد الكآبة والاعتزال والخوف، وأنّه إذا مُنِع من دخول أماكن الشعائر الدينية والثقافية، فإنه سيضطّر - أو يجد نفسه مجبراً - على التيه وحضور مجالس اللهو والانحراف.

إن التصابي للطفل يعني البحث من قبل الآباء عن لغة مشتركة بين الكبير والصغير، بين الجيلين القديم والجديد، وأن تجد النصائح الموجهة وعاءً مستعداً لتقبلها.

٣- استغلال فرصة العطلات

لما كان فصل الصيف فصلاً للعطلات والسفرات، فإنَّ من الجدير بالآباء والامهات - إن كانوا قادرين على ذلك - أن يبرمجوا هذه العطلات والسفرات لأولادهم. فإذا كانوا يزعمون الاصطياف في المربع الجميلة، فما عليهم إلا أن يقرنوها بزيارة المساجد أو أضرحة الاولياء في تلکم

ينبغي تشجيع الاولاد على الحفظ، ولا سيما حفظ آيات القرآن الكريم، والأدعية وأحاديث الائمة الرعصومين كنهج البلاغة مثلاً.

المناطق - مثلاً - أو على الاقل القيام بزيارة المستشفيات وعيادة المرضى فيها، من اجل تنمية روح الشكر لله سبحانه وتعالى من قبل الأطفال على ما أنعم عليهم من نعم وفيرة.

ولعلَّ من الأفضل للآباء اختيار قصد الأماكن والبقاع ذات البعد الديني لزيارتها، والتزوّد الروحي منها وتعميق رابطة الأطفال بأهل البيت عليه السلام وحبهم، وهي الفرصة التي لا ينبغي الاقتصار فيها على العطلة السنوية فحسب، بل ان بالامكان استغلال أية فرصة متاحة لذلك أيضاً.

٤- الغذاء الروحي

الاهتمام بالغذاء الروحي والعقلي لدى الأطفال من خلال اختيار الكتب والأشرطة والافلام لهم، وتوجيههم نحو الاستئناس بها.

فالأب كما يهتم بتثقيف نفسه، أو قصد المكتبات لاختيار كتبه، فعليه أيضاً اختيار الكتاب والثقافة المناسبة لأولاده، وعدم البخل بالمال في هذا الإطار أبداً.

فالاب والام بامكانهما تحويل البيت الى مقر ومركز روحي وثقافي، وذلك عبر الالتزام بالسنن والارشادات الدينية، من قبيل اتخاذ مكان خاص في البيت تقام فيه الصلاة وتُتلى فيه آيات الله المباركة، أو إقامة مكتبة خاصة فيه، ليعيش الطفل المسلم منذ نعومة أظفاره أجواء العبادة والثقافة، ويحسّ إحساساً مباشراً بأهمية هذين العاملين وفائدتهما بالنسبة لمستقبله.

٥- حفظ النصوص الدينية

وتوصية اخرى هامة جداً، وهي تشجيع الاولاد على الحفظ، ولا سيما حفظ آيات القرآن الكريم، والأدعية وأحاديث الائمة المعصومين عليهم السلام كنهج البلاغة مثلاً. فالأطفال حينما يحفظون سورة من السور أو قطعة من الأدعية أو خطبة من خطب نهج البلاغة، فهم يتفاعلون مع ما يحفظونه تفاعلاً فطرياً بريئاً، وترتكز جميع الافكار التي تحويها النصوص الاسلامية في عقله الباطن، لتنتطب في سلوكه فيما بعد، ولتكوّن فيما تكوّن الملكة النفسية اللازمة التي تحول دون الوقوع في الذنوب والخطايا.

ويلزم القول هنا ان النصوص الدينية - كالقرآن الكريم - ليست حكرًا على الكبار دون الصغار، فالقرآن كتاب الله الذي أنزل الى جميع الناس بتفاوت طبائعهم ومواقعهم، ومن الممكن أن يستفيد منه الناس كافة. وهذه الطبيعة القرآنية ذاتها إنها هي وجه إعجازي واحد من وجوه الاعجاز القرآني بصورة عامة. كذلك الحال بالنسبة الى الادعية، حيث يدعو الطفل وقد يدعو بها يحفظه من نصوص وبقلب طاهر، حتى إنك لتجد الواحد من أئمة أهل البيت عليه السلام كثيرًا ما كان يطلب حضور الاطفال بين يديه ليدعو هو ثم يؤمن الاطفال على دعائه، رغم ما نعلم من وجاهة ومنزلة أهل البيت عليه السلام المتعالية عند الله جلّ وعلا، وهذا أصل من أصول التربية الفذة التي كان الائمة يعتمدونها في سيرتهم الشريفة.

العبرة بقصص الانبياء

وقد سلّط القرآن الكريم الاضواء على كثير من اساليب التربية الرسالية ومناهجها القويمة؛ ومنها ما ذكره تعالى في سورة يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ * قَالَ يَبْنِي لَكَ تَقْصُصَ رُءُيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ^١.

فالنبي يوسف الصديق عليه السلام كان طفلاً صغيراً، وكانت تقلبات الحياة تنتظره على فارغ الصبر، ليثبت من خلالها مصداقيته كنبى ومملك عظيم؛ سيحكم فيما بعد حضارة من اكبر الحضارات. وبعد أن قصَّ الصديق يوسف على ابيه النبي يعقوب رؤياه، تعامل الاب مع ولده تعاملًا مزج فيه الايمان والمنطق والعاطفة بشكل قل نظيره.

على الذبأ واللاهات أن
يدعوا الله كثيراً ليوفقهم
الى استلام الروح الدينية
الحقة ونقلها بالطرق الواعية
الصحيحة الى أولادهم.

لقد حذره كيد إخوته، واحتمال
تأثرهم بالشيطان؛ العدو الاكبر للانسان.
ثم بين له تفسير حلمه، حيث أنار له
الطريق، واكد له اصطفاء واجتباء ربه له
من بين الناس كافة. وبكلمة اخرى؛ فقد حفز يعقوب عليه السلام ابنه اليافع
على الاستعداد لتلقي النبوة والسلطة في آن واحد.

ثم نجد النبي يعقوب عليه السلام قد رجع بولده الى ربط الحاضر بالماضي، حيث وضح له أن النبوة تجربة عظيمة قد يخوضها بعض أبناء آدم ممن أنعم الله عليهم، كما أشار الى قضية اخرى في هذا الإطار الروحاني، وهي امتداد سلالة النبوة فيه كما بدأت بأبويه من قبل إبراهيم واسحاق عليه السلام؛ بمعنى أن يعقوب النبي كان يحرض ابنه على الاعتقاد

بانه ليس كسائر الابناء، إنما هو يمثل حلقة وصل بين الأنبياء العظام. وثمة تجربة قرآنية أخرى، حيث نتعلم عبرها طريقة من طرق التربية السليمة، إذ تقول الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّالِينَ﴾^١، أي ان الانسان المتصفح للتاريخ مدعو الى أخذ التجارب والعلامات التي تهديه الى سواء السبيل، واستيعاب هذه الدعوة من الضروري جداً نقلها الى ذهنية الاطفال لدى تربيتهم وتعليمهم.

إذن؛ فالتخطيط والبرمجة الجدّية قضية هامة للغاية في إطار التربية والتعليم، لا سيما حينما يتسع الوقت وتسنح الفرص في أيام العطل -مثلاً- لتكريس هذه الحقيقة وتطبيقها تطبيقاً شمولياً، ليكون الجيل المسلم الجديد، جيلاً جديراً بحمل رسالة الاسلام العملي، وليس النظري فقط.

وقبل هذا وذاك، يتوجب على الآباء والامهات أن يدعوا الله كثيراً ليوفقهم الى استلهام الروح الدينية الحقّة ونقلها بالطرق الواعية الصحيحة الى أولادهم، إذ المهمة عسيرة للغاية.

وإذا ما استطاع أولياء الأمور أن يربّوا جيلهم وفق أسس التربية الصالحة، فذلك ما يعود عليهم بالنفع المادي والمعنوي في الدنيا والآخرة.

الاسرة بيت النور الالهي

الدين الاسلامي الحنيف منظومة متكاملة من القيم المثلى التي اوحى الله سبحانه وتعالى بها الى البشرية، لتسعد في الدنيا وتفلح في الآخرة. فهي تتكامل وتتسامى عبر هذه القيم، ولكن هذه القيم لا بد لها من ظرف يستوعبها، ومن اطار يصونها، ومن سور يحافظ عليها، ومن دون ذلك يكون من الصعب او المستحيل تصور ديمومة هذه القيم او بقائها. فالبيت لا يمكن تصويره من دون سور او سقف يحافظ عليه.

فيا ترى؛ ما هو سور القيم وقواعده؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال، أودّ الإشارة هنا الى جملة من تلکم القيم؛ فأقول اولاً: ان توحيد الله وعدم الشرك به، وضرورة ان تكون للانسان حرمة وكرامة، وفريضة التطلع الدائم للانسان نحو السمو والتقدم، وان يعيش المرء مع الآخرين ويتعاون معهم

ضمن أطر مشتركة.. هذه وامثالها تعدّ في مقدمة القيم المثلى التي نتحدث عنها في مقامنا هذا، حيث تكوّن بمجموعها نظاماً مثالياً، الهدف منه صيانة الانسان وتحسينه دون الوقوع في الخطأ، واتجاهه نحو الانحراف ومن ثم الابتعاد عن خالقه عز وجل.

أما الحديث عمّا يحافظ على القيم وعمّا يمنحها مزيداً من المصادقية والاستمرارية؛ فأقول: إن أول عوامل المحافظة هو بيت الانسان وعائلته، ومحيطه الاسري والتربوي. فمن يتنامى في المحيط العائلي الطيب، يكون قد أحرز أول عوامل الصيانة لقيمه دون الانهيار. في حين إنّ من يعيش بلا بيت وبلا أسرة، او يرفض الانتماء الى الأب او الى الأم او الى كليهما معاً، سيكون من الصعب عليه وعلى الآخرين تصور كيفية محافظته على مبادئه المثلى، إن لم نقل إنه سيكون عديم المبادئ والقيم، إلّا من رحم ربك. فكيف يمكنه ان يفهم القيم، وأين يتعلم قيمة التعاون، واين يعي قيمة العمل المشترك، وأين يفهم مبدأ احترام الكبير والشفقة على الصغير، واين يتعلم أنّ عليه أن يكون إنساناً حضارياً ضمن مدنية يكون للآخرين حقوقهم وأدوارهم فيها، ترى اين سيتعلم هذه القيم؟

إنما يمكن تعلم وإدراك المثل العليا من خلال الأسرة والجو العائلي الحميد. وعلى هذا الاساس نجد القرآن الكريم قد أولى اهمية

عظمى لدور العائلة والبيت في نشأة الانسان وتكوينه التربوي، وقد خصّ الله سبحانه وتعالى لهذا الشأن سورة كاملة، أطلق عليها اسم سورة النور. هذا الاسم المبارك والعجيب من بين مختلف اسماء السور القرآنية الأخرى، التي تتفاوت واسم هذه السورة تفاوتاً ملحوظاً، تبعاً لما يعلمه الله تبارك وتعالى من دور مميز للعائلة في صياغة الشخصية الانسانية ودفعها نحو السمو والتكامل، وهو الغرض الذي يعتبر بحق الهدف الأول لهبوط الوحي وبعث الرسل والانبياء.

ولما كان البيت وكانت العائلة العنصر الاساس في المجتمع وفي بلورة الشخصية الانسانية، كان لا بد من احاطته بقانون

**إن أوّل عوائل المحافظة
على القيم هو بيت الانسان
وعائلته، ومحيطه الاسري
والتربوي.**

او مجموعة صارمة من القوانين تحول دون انهياره وتفتته. ولذلك فقد جاء في مطلع هذه السورة القرآنية المباركة قانوناً يقضي بانزال العقوبة الشديدة بحق الزاني والزانية اللذين يعتبر فعلهما رمزاً قبيحاً لتشتت الأسرة. فكان قانون الجلد، ثم قانون الرجم الذي نصّت عليه السنة النبوية المفسرة للقانون الأول تبعاً، حيث يشهد المؤمنون تنفيذ عقوبة الجلد، أو يشاركون عملياً في انزال عقوبة الرجم، حيث يضيع دم المرحوم بينهم جميعاً. والعلة في ذلك، ان هذا الانسان قد

تجاوز وانتهك اعظم الحرمات، وهي حرمة البيت والأسرة.

لقد وصف ربنا سبحانه وتعالى البيت الذي تنمو فيه القيم المثلّي، كقيم الصلاة والزكاة والإخلاص لوجهه الكريم، يصفه كأنه المشكاة، حيث يتجلّى فيه نور العبادة والعلم والحكمة، فيقول تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ*﴾ فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ*^١.

إنّ النموذج الأسمى لهذه البيوت المليئة بالنور والهدى الإلهي المبارك، هو بيت الرسالة؛ بيت نبينا محمد وأهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين. فهذا البيت هو المصباح، وهو المشكاة، وهو مركز النور الإلهي في

لها كان البيت وكانت
العائلة العنصر الأساس في
المجتمع وفي بلورة الشخصية
الإنسانية، كان لا بد من
احاطته بقانون او مجموعة
صارمة من القوانين تحول دون
انهياره وتفتته.

الكون. وإنما كان كذلك، لأن فيه كان التسبيح لله بالغدو والآصال، وكان يسبح فيه: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تَجَرَّةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ

الصَّلَاةُ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ^١.

وإذا كان الشرك دناءةً ورجساً ودنساً في الانسان، فان ما يقابله هو طهارة الايمان، والايمان لا يكون إلا بالتسبيح.

إن القرآن الكريم لا يقول: إن رجال الله لا تجارة لهم ولا بيعاً، وإنهم يعكفون في الكهوف للعبادة، وإنما يقول بالحرف الواحد: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ...﴾. فهم رجال في عمق الواقع وصميم المجتمع وتيار الاقتصاد فلهم تجارتهم ويمارسون البيع والشراء، ولكن حياتهم هذه لا تلهيهم عن أن يكونوا مؤمنين.

فهم إذن رجال اثبتوا جدارتهم وشخصيتهم المثل في أن يمتلكوا المال ويزاولوا التجارة دون ان يمتلكهم المال او تسيّرهم العمليات التجارية. وهم حتى في لحظة الربح والأخذ والعطاء يجعلون الله نصب اعينهم، فلا يغشّون ولا يخادعون الناس ولا يغفلون عن ذكر الله، بل وفوق ذلك وأسمى من ذلك انهم يعتبرون الصدق في المعاملة وسيلة التقرب الى الله، وخطوة عملية في قاعدة ذكر الله الدائم. هذا فضلاً عن كونهم لا يغفلون عن العبادة، ولا

إِنَّ رِجَالَ اللَّهِ لَمَّا يَصْبَحُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَرْبِيَّتُهُمْ تَرْبِيَّةً سَلِيمَةً، بِمَعْنَى أَنَّ أَبَاعَهُمْ وَأَهْوَاتَهُمْ قَدْ وَفَّرُوا لَهُمْ مَسْتَلْزَمَاتِ الْوَعْيِ السَّلِيمِ لِلاتِّجَامِ الدِّينِيِّ وَالْإِيْمَانِيِّ.

يتكاسلون عنها إذا ما حلّ وقت الصلاة، فلكل أمرٍ وقته. مما يوحي

أن هؤلاء الرجال يمتازون بالوعي الثاقب ونظم الامور، وبالتالي فهم شخصيات حضارية لا تزيلهم الزلازل عن مواقعهم التي رسمها الله لهم. وهؤلاء الرجال لما كانوا عديمي التأثير بغرور الدنيا بسبب ممارسة الضروريات فيها - وهي التجارة والبيع وكسب المال - فإنه من الطبيعي جداً تصور كونهم عديمي التأثير بتوافه الأمور الدنيوية كالغناء، والافلام سيئة الصيت، والبرامج التلفزيونية السافلة، والصحافة المبتذلة، والاهتمام بمدح هذا أو ذم ذلك عبر وسائل الإعلام الشيطانية، فهذه إنما موقعها موقع الأمور المنبوذة في حركة الحياة.

والقرآن يبين السبب في ذلك كله، فيقول: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾. فترى جسد أحدهم في الاسواق او في العمل السياسي او الاجتماعي، لكن قلبه وهدفه متعلقان بغاية أسمى وأنبى من ذلك بكثير، ألا وهي رضوان الله في يوم القيامة، حيث يومذاك تتقلب فيه القلوب والأبصار. التقلب الذي يعني الانقلاب والعودة الى الحقيقة، فكم من امرئ فاسد كان قد خدع الآخرين وخدع نفسه فأظهر الورع والصلاح وكسب من ذلك ما كسب في الدنيا، وكم من امرئ كان يرتكب من السيئات ما يرتكب وهو يحسب انه يحسن صنعاً.. غير أن الانقلاب والعودة الى الحقيقة، ثم الكشف عن السرائر موعده في يوم القيامة. ورجال الله المؤمنون

إنما يهجرون السيئات خوفاً من يوم الاعلان الأكبر عن الضمائر وما أخفته الصدور، فهم لا يخادعون الله، وانما يخادعون الشيطان، ويصبرون على ارتكاب السيئات والاختطاء والجرائم تحسباً من ذلك اليوم العظيم.

إن رجال الله لم يصبحوا على ما هم عليه إلا بعد ان كانت تربيتهم تربية سليمة؛ بمعنى أن آباءهم وأمهاتهم قد وفّروا لهم مستلزمات الوعي السليم للاتجاه الديني والايماي. فكلما كانت الاسرة أقرب الى هدى الوحي والى تعاليم أهل البيت عليه السلام، كلما كانت مركزاً ومحوراً لنور الله تبارك وتعالى. وكلما ابتعدت عن تعاليم الوحي، كلما طمست في أوحال الجاهلية. ودرجة القرب او الابتعاد المشار اليهما، بمثابة عنوان ضمان صلاح او فساد الأطفال في المستقبل.

وإزاء ذلك؛ فليُنظر الأب ولتُنظر الأم الى مَنْ يكلان اولادهما، هل يكلانهم لصانعي افلام الصور المتحركة والافلام المستهجنة وما يقف خلفها من نوايا وثقافة شريرة غايتها الأولى والأخيرة تحطيم النفوس والارواح والحضارات؟

من هنا لا بد لنا من وقفة مع أنفسنا، لنفكر ثم نقرر ماذا نريد لجيلنا الجديد ونشئنا القادم، ولنتعرف الى مسؤوليتنا تجاهه. وقبل هذا وذاك ينبغي ان نضع نصب اعيننا القدوة الحسنة والنموذج السيء، ثم نختر لأولادنا ما أمرنا الله ان نختر. فهذا بيت فاطمة

الزهراء عليها السلام الذي ضربه الله لنا مثلاً بالنور والكرامة، وذاك بيت أبي سفيان الذي وصفه الله بالشجرة الخبيثة وضربه لنا مثلاً بالدناءة والفساد.. فلننظر ما نختار.

معظم وسائل التربية

كالمدارس والصحافة اليوم

تُدار ضمن خطط تسيل من

ادھمة واضعها الشهوة

والانحراف والتضليل.

فإذا رأيتم رجالاً يمارسون الغيبة والتهمة، مصابين بالكسل والتخلف، لا يفكرون بالدنيا ولا بالآخرة.. فعليكم

ان تبحثوا عن الجذور، فانكم ستجدونها في بيوتهم حتماً. وإذا رأيتم رجالاً متعافين النفوس، طيبين القلب، حسني السيرة والصورة.. فابحثوا ايضاً عن الجذور، فستجدونها في بيوتهم طبعاً.

وأروي لكم حادثة لمستها بنفسي فيما يخص حديثي هذا، وهي أنني كنت بمعية بعض الاصدقاء نقطع احد الشوارع في مدينة مّا، فمررنا بالقرب من احدى مدارس الطالبات، ولما كان الطريق ضيقاً مزدحماً بادرنا بعض الطالبات بابتسامات السخرية نظراً الى أنّ من كان في السيارة كان جميعهم من علماء الدين، فما كان مني إلا أن اقول: سبحان الله! متعجباً لاحتمال أن تكون هذه الطالبة او تلك أمّاً، فكيف سيكون مستقبل اولادها. فالبنات اللاتي تراهنّ اليوم في الشوارع والأزقة وقد سلب الحياء من عيونهنّ، ترى كيف سيصبحن أمهات صالحات ليتحملن مسؤولياتهنّ إزاء الجيل الجديد؟ ولقد تأكدت أن امثالهن لا يزمعن ان يكنّ امهات ولا يفكرن في يوم من الأيام

ان يفضن على ابنائهن او بناتهن بالمحبة والحنان، لأنهن بدورهن قد حُرمن من شعور آبائهن او امهاتهن بالمسؤولية المقدسة تجاههن.

إن الاسرة تمثل الخندق الاساسي والأخير فيما يخص موضوع الاهتمام الصالح والتربية السليمة للاولاد. فمعظم وسائل التربية كالمدارس والصحافة اليوم تُدار ضمن خطط تسيل من ادمغة واضعيها الشهوة والانحراف والتضليل. وإذا كنّا نعجز عن ادارة بيوتنا، فعلينا التأكد بأن كل شيء مائل الى الانهيار.

ولقد كنت اتحدث في مجلس ضمّ حوالي ثلاث مائة من النساء في مكة المكرمة مؤخراً، وقلت لهن بوضوح وصراحة: إن مسؤولية المرأة (الأم) في مجتمعنا المعاصر أهم وأخطر بدرجات من مسؤولية العلماء والخطباء والشخصيات الاجتماعية الاخرى. وذلك لأن حكوماتنا الظالمة وما يقف خلفها من دفع غربي جاهلي لم تُبَق لنا شيئاً. فالخطط والممارسات الجهنمية والشيطنانية قد احتلت واستولت على كل شيء، ولكن بقيت لنا الأسرة، وهي الآن تعزم على مصادرتها منّا.

فإذا كانت المحطات التلفزيونية المدارية تلتقط - اليوم - مائة شبكة مثلاً، فهي في الغد ستلتقط عدة آلاف شبكة. وإذا كنّا نرى وجود شبكة الانترنت في بعض البيوت، فسوف نراها في الغد قد غزت جميع البيوت. في ذلك

إِنَّ اللّٰجِءَ إِلَى وَسِيلَةِ الضَّرْبِ فِي
إِطَارِ التَّرْبِيَةِ، وَسِيلَةٌ اثْبَتَتْ فَشْلَهَا
بِهَظْلِ الظُّرُوفِ وَالتَّجَارِبِ.

سيبقى الشيء الوحيد المتبقي هو نظام الأسرة الصالح الذي من الممكن تطبيقه بعد المحافظة عليه، فكيف يتم إنجاز ذلك؟
أؤكد أن إنجاز هذه المهمة المقدسة يكون بملاحظة عدة أمور،
منها:

١- تحسيس الأطفال بالمودّة

تكريس المحبة والعاطفة المتوازنة بين أفراد العائلة، وخلق الإحساس في نفوس الاولاد بأن لديهم من يحبهم ويفيض عليهم الرحمة، وذلك بعد ان يكون الزوجان قد وفّرا المودّة والرحمة فيما بينهما، حتى تفيض هذه العلاقة على بقيّة الأفراد. وعلى هذا الاساس لا تجد او يندر ان تجد زوجين يتبادلان المودّة والرحمة والصلاح ومنّ اولادهما مَنْ هو شقيّ تعسّ، وإذا كان كذلك فعليك البحث عن العلة في مكان آخر حتماً.. وعلى العكس فإنّك تجد المجرمين يعانون من آثار الفرقة الحاصلة بين آبائهم وأمهاتهم.

إنّ تبادل المحبة والودّ لا يتأتى بين ليلة وضحاها، وإنّما هو وليد الاحساس بالحقوق الفردية لكلّ من الزوج والزوجة، بالاضافة الى وعي الحقوق المشتركة وضرورة حلّ المشاكل بالطريقة السلمية، ووعي أهمية تبادل الاحترام في كل صغيرة وكبيرة. وهذا لا يكون ما لم يسمو الزوج والزوجة بثقافتهما الدينية والانسانية، وإدراكهما

لقوانين الدين والتجارب البشرية الصالحة فيما يخص هذا الشأن. ولقد قال الدين كلمته الطيبة، وهي: «مَا بُنِيَ بِنَاءً فِي الْإِسْلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ التَّزْوِيجِ»^١، ولكنّ اعداء الحضارة الانسانية واعداء فطرة الانسان يسعون الى هدم هذا البناء عبر بث بعض الأفكار، من قبيل فكرة المساواة بين الرجل والمرأة ونبدأ القيمومة التي نص الله سبحانه عليها في القرآن، وعبر بثّ الفساد والمشاغبة الجنسية.. والهدف من كل ذلك ان يقدموا لنا نحن المسلمين المؤمنين بفطرة الله التي فطر الناس عليها، والمؤمنين بالنزاهة والطهارة؛ نموذجاً شيطانياً يقف وراءه هدف أقبح، وهو هدم الأسرة، فهدم المجتمع، فاستغللنا.

٢- الموازنة بين خارج البيت وداخله

أن يؤمن الآباء بضرورة الموازنة العادلة بين بذل الجهد في خارج المنزل وداخله، فضلاً عن ضرورة الاعتقاد بأن توفير المحبة أهم بكثير من توفير الطعام. فمن الممكن مراوغة الطفل على جوعه الموقت، ولكن من المستحيل مراوغته على هجرة الأب له. ثم ليعرف الأب أولاً أنه مطالب بتربية أولاده، وهذه التربية لا تكون من دون التعرف الى خفايا نفسية اولاده بدقة متناهية، وعلى ضوء هذه المعرفة يمكن تربيته، وخلق الاستجابة لديه. أمّا اللجوء الى وسيلة الضرب في إطار التربية، فهي وسيلة اثبتت فشلها بمختلف الظروف والتجارب،

١- من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٣٨٣، عن رسول الله ﷺ.

اللهم إلا ان يكون فعلاً رمزياً تأديبياً يتبين للطفل القصد من واره. وإذا كان الأب يعي عدم جدوائية ممارسة العنف مع اولاده، ولكنّه يعتبر ذلك عادة متأصلة في داخله، تبعاً لما تعرض هو بنفسه من قبل والديه، فعليه ان يطمئن الى أنّه قد قطع خطوة كبيرة في هذا المجال، حيث إنّّه قد حدّد الداء، وعليه الآن أن يحدّد الدواء، فيعوّد نفسه شيئاً فشيئاً، فيمرّنها على إدراك خطورة العنف، ثم ليجت لنفسه عن متنفس آخر يتخلص فيها من عقده السابقة، وليتخلص ايضاً من مصاعب عمله اليومي خارج إطار الأسرة.

٣- الجو الإيجابي في الأسرة

السعي الى ايجاد الجو الايجابي العام في البيت، وبث روح الايمان والتفاؤل والأمل فيه، عبر قراءة القرآن والأدعية في الصباح والقيام بالزيارة الدورية للأماكن المقدسة ومحالّ الترفيه النزيه عن الباطل، بالاضافة الى شراء الكتب الهادفة الى تكوين شخصية الطفل المعنوية كبديل ناجع بوجه الغزو الثقافي الذي تتعرض له ادمغة جيلنا الجديد.

التقوى أساس التربية

للتقوى مفاهيم عديدة ومتنوعة؛ فمنها ما هو شخصي، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو حضاري، وغير ذلك.

كما تأخذ التقوى اشكالاً وصوراً عديدة ومتنوعة ايضاً؛ كالعبادة، واحراز ملكة اجتناب المعاصي، والاستعداد لأداء الحسنات.

وبين هذا وذاك؛ فإنّ مقياس صلاح الانسان وفساده إنّما هو التقوى لا غير. فنية المرء وهمته وعزمه هي التي تحدد سلوكه وتعيّن مصيره، وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^١. فالتقوى هي ميزان قبول الاعمال.

ولما كان الله تبارك وتعالى قد قال: ﴿وَنَزَوْدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^٢، لنا أن نتساءل عن هذا التزوّد، ولمن يكون، وكيف يكون؟

فالواقف موقف عرفة - وهو القمة في القرب من الله ومبدأ

١ - سورة المائدة، آية ٢٧.

٢ - سورة البقرة، آية ١٩٧.

غفران الذنوب ومضاعفة الحسنات - هل يتزوّد لنفسه بالتقوى فحسب؟ ام أنّه مكلف بحمل هذا الزاد المقدس للآخرين ايضاً؟ ومنّ هم ياترى هؤلاء الآخرون؟

من الطبيعي أنّه مكلف بالتزوّد لنفسه قبل كل شيء، ومن الطبيعي ايضاً ان يكون مكلفاً بالتزوّد للآخرين، لأنّ الانسان ليس شأنه الاعتزال عنهم، لا سيما وأنّ الدين الاسلامي قد أمر المسلم بنبد الأنانية وحبّ الذات. ولما كان القرآن المجيد قال: ﴿وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^١، فقد اصبح على المرء طلب التقوى والخير للأقربين، وفي مقدمتهم الأولاد واجباً محتوماً.

إنّ الأب والأم مدعوّان الى التزوّد بالتقوى في موسم الحج مثلاً لا إلى أنفسهما فحسب، وإنّما ينبغي لهما التزوّد لمن خلفاه في بلادهما وهم الأولاد، بل وأكثر من ذلك؛ فليتزوّد الوالدان بالتقوى والفضيلة للأولاد في الأصلاب والأرحام، لتتواصل سلالة العائلة المسلمة المؤمنة بطناً بعد بطن، وجيلاً بعد جيل في أجواء الدين، وللحيلولة دون وقوع كارثة التعرب بعد الهجرة كما يحدث - وللأسف - لبعض المسلمين ممن هاجر الى بلاد الغرب، حيث بلغ الأمر بردّتهم الى تسمية أولادهم بأسماء اجنبية غريبة بعيدة عن تاريخ وواقع عائلاتهم، فضلاً عن حدوث الردّة الفعلية في معتقداتهم وممارساتهم

اليومية التي ينجل المرء من التطرق الى الخوض فيها.

إنَّ طالب التقوى والايان حريٌّ به ألاَّ يطلبهما لنفسه فقط، بل ليجعل كلّ همّه ان يتفضل الله تبارك وتعالى عليه، فيربّي أولاده واخوانه والآخرين عموماً وفق أصول التقوى والايان. وهذا يعني أنَّ طالب التقوى والايان يجب ان يكون ذا أفقٍ واسع يتفاعل مع مستوى وعيه المطلوب بالأحداث من حوله، فيكون عزمه وإصراره على درجة عالية يتمكّن من خلالها

إنَّ مقياس صلاح الانسان وفساده إنّها هو التقوى لا غير. فنية المرء وهمة وعزوه هي التي تحدد سلوكه وتعيّن مصيره.

إثبات وجوده كمؤمن، فيحقق لمعتقداته الانتصار والنجاح على كل ما تتعرض له من مؤامرات ثقافية وعلمية شيطانية صادرة عن دول الغرب المستعمرة؛ المؤامرات التي لم تُحكَّ إلاَّ لسرقة العقل المسلم لجيلنا الحاضر والآتي، كأسلوب شيطاني لضمان المصالح الاستراتيجية الغربية في اوطاننا المسلمة.

واثناء عملية الغزو الثقافي التي تقودها شبكات التلفزة الفضائية - حيث الميوعة والفساد - بمعية الصحف التي تصدر عن جهات معروفة، لا تهدف إلاَّ تحويل الاهتمامات الانسانية والدينية لعقل المسلم الى اهتمامات مادية وديوية بحتة، فتسلخ المرء عن حقيقة وجوده في الدنيا، في ظل هذه الهجمة الثقافية، نجد ان كثيراً من بلداننا

المسلمة قد أصبحت محطات مهمة لتجارة المخدرات وتعاطيها. وإزاء ذلك كله، لا بد من العمل على توفير عوامل مضادة لافشال هذه المؤامرة. ومن المؤكد ان يكون عامل تصليب قاعدة الأسرة وصيانة أجوائها في مقدمة تلكم العوامل.

وعلى المرأة - الأم التفكير الجدي في مصير ذريتها، وذرية ذريتها، ذلك لأنَّ المؤامرة الشيطانية المشار إليها اخذت على عاتقها سرقة الشخصية المسلمة التي ستولد بعد عقود زمنية عديدة وبعيدة.

إنَّ اهتمام الأم بالطفل منذ نعومة أظفاره يعني ضرورة وعيها بأنَّ إعداد طعام لزيد للزوج او السهر على حمى بسيطة قد تصيب الطفل، أقلَّ أهمية بدرجات من ضرورة سلامة الطفل العقلية والثقافية والدينية بشكل عام، إذ بالدين وحده يمكن الحصول على خير الدنيا والآخرة وبالصورة المطلوبة.

ولكن أن تذهب الأم الى المطبخ وتُشاغل أطفالها بجهاز الفيديو وأفلام الصور المتحركة والأغاني والموسيقى، غافلة أو متغافلة عن مدى التأثير السلبي لهذا الجهاز على شخصية الطفل وتكوينه، فإنَّ ذلك يعدّ حماقة ما بعدها حماقة، بل الأصح القول بأنَّ ذلك يعدّ خيانة عظمى ترتكبها الأم بحق أطفالها، وهي تتحمل كل المسؤولية أمام القضاء الإلهي في يوم القيامة.

فلتجعل الأم بدلاً عن الغناء - مثلاً - جهاز التسجيل ليثبت صوت القرآن بصورة التأهيل والتعليم لأولادها، حتى تتعود آذانهم على سماع كلام الله.

وبكلمة ثانية؛ أؤكد أنّ وظيفة الأمّ الاساسية تجاه أولادها الصغار، خلق أجواء ايمانية طيبة تحملهم على الأئس والرغبة في الركون الى الدين والإيمان.

على المرأة - الأم التفكير الجدي في مصير ذريتها، وذرية ذريتها، ذلك لأنّ المؤامرة الشيطانية المشار إليها اخذت على عاتقها سرقة الشخصية المسلمة التي ستولد بعد عقود زمنية عديدة وبعيدة.

ومن الممكن ايضاً الاستفادة من فرص التزاور العائلي خلال أيام الجمع والعطل، وجعلها مدرسة كبيرة للعائلة، حيث يجتمع الأطفال وتُلقى عليهم الدروس وقصص التاريخ الاسلامي.

وليعلم الآباء والأمهات أنّ اطفالهم حتى سنّ السابعة من العمر يكونون أحراراً أكثر من غيرهم، فليستغلوا هذه الفرصة التي لا تعوّض بإدخالهم في مؤسسات تهتم بتحفيظ القرآن الكريم وروايات أهل البيت (عليه السلام)، ولن يضيع ما يصرفه الوالدان من مال في هذا المجال سدىً أبداً، إذ أنهم بخطوتهم المباركة هذه يضعون حجر الأساس الراسخ في بناء شخصية أطفالهم.

التربية الصالحة ضمان الاستقامة

عندما تتواتر المصائب وتتاحق المآسي على الأمة، فإن جوهرها الحقيقي سيظهر لنفسها وللناس جميعاً. وإن الأمة التي تصطدم بواقع الضعف والانكسار لا يسعها إلا استخراج كنوزها الذاتية، واستخلاص قواها المكونة المتمثلة في الاستقامة.

ولا يخفى؛ أن الاستقامة هي جوهر كل أمة، والامة التي لا تتمتع بالاستقامة هي أمة منهزمة في جوهرها وكيانها، عاجزة في قدراتها. وبناء على ذلك، فإن الاستقامة هي مقياس جوهر الأمة، وميزان ثباتها وتحديها.

ولأننا اليوم نعيش تحدياً حضاري على جبهتين؛ جبهة الخارج، حيث نواجه مطامع المستكبرين، وخططهم في استغلالنا ونهب ثرواتنا، وبالتالي السيطرة علينا. وجبهة الداخل، حيث نواجه التخلف والانحطاط، والظلم والاستبداد.

فلا مناص لنا من الاستقامة، ولكن ما هو السبيل الذي يجعلنا نحظى بالاستقامة؟

إنَّ الذي يعيننا ويعين أبناء امتنا الاسلامية على الاستقامة، هو أنَّ نتلقَّى التربية الاسلامية منذ الطفولة، وفي هذا المجال تلعب المدارس دوراً أساسياً في ترسيخ الاستقامة في نفوس شبابنا.

ومن المعلوم أنَّ الغالبية العظمى من صفات الانسان تبدأ بالظهور

منذ الطفولة، ومنذ السنين الأولى من حياته، ونحن عادة ننسى المواقف الجزئية التي أثّرت في حياتنا، وصاغت شخصيتنا، وكوّنت افكارنا.. ولكن هذه **في قدراتها.**

العوامل ما تزال تعيش معنا متمثلة في نتائجها.

وعلينا ان لا ننسى في هذا المجال ان نستوحي تعاليمنا وتوجيهاتنا وارشاداتنا التربوية من القرآن الكريم، ولكننا نلاحظ - للأسف الشديد - ان القرآن مهجور في بلداننا الاسلامية، بل إنَّ البعض يدَّعون أنَّ القرآن كتاب انزل قبل اربعة عشر قرناً، وانه موجه الى اولئك الذين كانوا يعيشون في ذلك العصر. فنراهم يهجرون القرآن، ويؤطّرونه - في افضل الاحوال - بأطر تقليدية محدودة ينبغي ان لا يخرج منها، فيقول: إنَّ الآيات القرآنية قد نزلت بشأن اناس عاشوا في عصر ما ثم انتهوا، وانه لا يعيننا من قريب او بعيد.

إنَّ مظاهر الانحراف والبعد عن التعاليم القرآنية قد انتشرت -للاسف الشديد- في جميع ارجاء العالم الاسلامي، وعلى سبيل المثال فاننا نلاحظ أنَّ المصارف والبنوك تتعامل من الصباح الى المساء بالربا، ومظاهر الفساد منتشرة في كل مكان، والسبب في ذلك اننا قد (اعتقلنا) القرآن - إن صحَّ التعبير- وعلينا ان نطلق سراحه لكي يُطلق سراح الأمة، ولكي تطلق آياته طاقات **علينا ان نستوحي تعاليمنا وتوجيهاتنا** الأمة وتفجرها باتجاه البناء. **وارشاداتنا التربوية من القرآن الكريم.**

والقرآن يقول بشأن الاستقامة التي سبقت الاشارة اليها، والتي اعتبرناها العامل الرئيسي في مقاومة التحديات الحضارية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^١. ثم يقول بعد ذلك: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^٢.

وهاتان الآيتان تبينان لنا ان الاستقامة لا تحصل إلا من خلال التربية الصالحة، وأنا هنا اوجه حديثي الى الآباء والامهات، والى العاملين في المؤسسات التربوية والتعليمية، فأقول: إنَّ هذا الجيل الذي نحن جزء منه قد يكون عاجزاً عن تحقيق اهداف الأمة، فهو جيل الكوارث والمصائب، جيل احتلال الاراضي المقدسة عام ٤٨

١- سورة فصلت، آية ٣٠.

٢- سورة فصلت، آية ٣٤.

و٦٧ و٧٣ و٨٢، فهو الجيل الذي تلقى الصفعات.

فيا من تتولون مسؤولية تربية الجيل القادم انتم مسؤولون عن نشئة جيل التصدي والتحدي، جيل يكون قادراً على اداء مسؤولياته بالكامل.

وعلى الآباء والأمهات تقع المسؤولية الكبرى في هذا المجال، وذلك من خلال اتباع الخطوات والاساليب التالية:

١- تربية الأولاد على الحرية التي هي بنت الفطرة والارادة. علماً ان المسؤولية لا تكون إلا بعد أن تتحقق للانسان الحرية، والمسؤولية هي اعظم وافضل صفة للانسان، **لنحاول أن نمنح اولادنا الشخصية، ولنزودهم بالاعتداد بالنفس، والثقة بالذات، ولنوجهم بانهم مسؤولون عن تصرفاتهم.** فعلياً أن لا نقهر الطفل منذ نعومة اظفاره، وأن لا نهزم نفسيته.

إن الأب اذا هزم نفسيّة الطفل في بيته فانه سيصبح طاغوتاً في حدود هذا البيت، وكذلك الحال بالنسبة الى الأم. والطفل والطفلة عندما يشبان فانهما سيتحولان ايضاً الى طاغوتين، ثم تستشري حالة الطغيان في المجتمع كله. وبالإضافة الى ذلك فإنّ الطفل الذي تعود على الخضوع والسكوت، واعتاد الكبت والهزيمة النفسية في البيت، فانه سوف لا يستطيع غداً أن يتحدى المظاهر الفاسدة.

٢- لنحاول أن نمنح اولادنا الشخصية، ولنزودهم بالاعتداد

بالنفس، والثقة بالذات، ولننوح لهم بانهم مسؤولون عن تصرفاتهم. فتربية الطفل ليست كتربية الدواجن. فالله سبحانه وتعالى خلق الطير

- مثلاً - بحيث يعيش باستقلالية بمجرد أن يخرج من البيضة، ولكنه خلق الطفل بحيث يحتاج الى أبويه لسنين طويلة. وحكمة ذلك أن يعمل الابوان من أجل تربيته، وصياغة شخصيته، ولكي يتحملا مسؤوليتهما في تنشئته ورعايته، بحيث لا يصنعان منه انساناً جباناً، ضعيف الإرادة، مهزوماً من الناحية النفسية، خائفاً لكل قوة، خاضعاً لكل سيطرة.

علينا ان نربّي اطفالنا على الصعوبات، وعلى النظام الذي يختارونه بأنفسهم.. وهذا الاسلوب هو الذي من شأنه ان يخلق الاستقامة في نفوس الانطفال.

وبناءً على ذلك فإنّ على الآباء والأمهات ان لا يطردوا - مثلاً - اولادهم من البيت لمجرد انه قد تحدّاهم، او لم يمثل لاوامرهم بشأن المدرسة التي اختارها، او نوع الملابس التي يريد أن يرتديها، وما الى ذلك.

فنحن لسنا آلهة بالنسبة اليهم، وهم ليسوا عبيداً لنا، وصلاحياتنا محدودة ضمن أطر معيّنة بالنسبة اليهم. فلنعطِ - اذن - كرامة لاطفالنا، ولننمّي فيهم روح الاستقامة، ولنعودهم على ان يحيا حياة الابطال دون ان نفرط في (تدليلهم)، ونبالغ في رعايتهم والعناية بهم الى درجة بحيث نجعلهم مرتبطين

بنا، معتمدين علينا. وفي هذا المجال يقول الامام محمد الباقر عليه السلام: «شَرُّ
الْآبَاءِ مَنْ دَعَاهُ الْبِرُّ إِلَى الْإِفْرَاطِ، وَشَرُّ الْأَبْنَاءِ مَنْ دَعَاهُ التَّقْصِيرُ إِلَى
الْعُقُوقِ»^١.

فعلينا ان لا نفرط في حق ابنائنا، وان نستخدم الحب كطريق
ووسيلة لتربيتهم. أمّا أن نبالغ في رعايتهم، فإنّ هذه الرعاية سوف
تضرّ بهم، خصوصاً وإنّ هذا الجيل من المفترض فيه أن يكون جيل
الجهاد والمقاومة ما دامت بلداننا محتلة، وما دامت حقوقنا مغصوبة،
وما دمنّا محكومين بالطغاة.

ولا بد أن نفرس في قلوب ابنائنا
حب الله جل وعلا. وبذلك يمكننا
ان نربّي ابنائنا تربيةً صالحة، عبر
التحدّث عن نعم الله عز وجل لهم،
وعن آياته في الطبيعة.

الاسلوب هو الذي من شأنه ان يخلق الاستقامة في نفوس الأطفال.
٣- علينا ان نربّي اطفالنا على حب الوطن وحبّ الناس، وان
نجعلهم يشعرون بلذة الاحسان الى الضعفاء والبؤساء، وان نحذر
كل الحذر من ان نربّي فيهم روح الانانية والذاتية. فاذا ما قام احد
اطفالنا بالاحسان الى صديقه، فعلينا ان لا نوّبه، بل علينا ان نمدحه
ونثني عليه ونشجّعه على سلوكه هذا مستهدفين بذلك تنمية روح

التعاون والايثار في نفسه.

وللاسف فانّ هناك ظاهرة مؤسفة منتشرة بين الآباء والأمهات في مجتمعاتنا، وهي انهم يحاولون دائماً - من حيث يشعرون او لا يشعرون - تنمية روح الانانية والفردية في نفوس اولادهم، وهذه الظاهرة تتجلى في مجال الدراسة اكثر من أي مجال آخر، فتراهم يزقّون اولادهم بافكار وتوجيهات لا تؤدّي إلّا الى تخريج جيل انانيّ، لا يفكر إلّا في نفسه ومصالحه. فتراهم يؤكّدون على اولادهم أن يركّزوا اهتمامهم على الدراسة من أجل ان يحصلوا على الشهادات العليا، ويشغلوا المراكز، والمناصب الرفيعة التي من شأنها ان تحقّق مصالحهم، وتجعلهم يصلون الى ما يصبون اليه من الشهرة والمجد والثروة لأنفسهم، وان لا يهتموا بتقديم العون والمساعدة الى الآخرين، وأن (يجرّوا النار الى قرصهم) كما يقول المثل الشعبي المعروف!

وبالطبع فاننا لا نقصد أنّ على الآباء والأمهات ان لا يحرّوا ابناءهم على الجدّية في الدراسة، والتفكير في بناء مستقبلهم، ولكنّ اسلوبهم في هذا الحثّ والتشجيع مغلوّط، لأنّه يؤدي الى اشاعة روح الانانية والفردية بين اوساطهم، فعليهم بدلاً من تلك التوجيهات والايحاءات المغلوطة، أن يشجّعوا ابناءهم على الدراسة، ولكن من خلال تلقينهم بأنّهم اذا جدّوا في هذه الدراسة واهتمّوا بها،

فإنهم سيصبحون في المستقبل افراداً فاعلين في المجتمع، مقدّمين للخدمات المفيدة اليه، ومؤمّنين للكوادر المختلفة التي يحتاج اليها والتي من شأنها ان تجعله في غنى عن البلدان الاستعمارية التي تسعى من أجل ربطنا في جميع مناحي حياتنا بعجلتها. وبالتالي فإنّ علينا ان نخلق في انفسهم الروح الجماعية، وحالة التحدي، وعدم الاستعداد بأيّ شكل من الأشكال للخضوع للباطل.

٤- وقبل كل هذه الخطوات المتقدمة، لا بد أن نغرس في قلوب ابنائنا حب الله جل وعلا. وبذلك يمكننا ان نربيّ ابناءنا تربية صالحة، عبر التحدّث عن نعم الله عز وجل لهم، وعن آياته في الطبيعة، وحرصه على ان تكون عاقبته سعيدة في الدنيا والآخرة.

وهكذا فإنّ التربية الفاضلة هي التي تصنع جيلاً يستطيع ان يتحدّى المشاكل والصعوبات، حتى يبني حضارة مجيدة سامية، ومثل هذه القمة الرفيعة لا يستطيع ان يتسنّمها إلا الذين ربّوا في انفسهم روح التحدي والصبر والاستقامة، ووطّنوا أنفسهم على الصمود ازاء التحدّيات الحضارية.

التربية الصالحة ضمان السعادة

المشكاة التي يتجلّى فيها نور الله، والمصباح الذي يضيء هذا النور وينشره، والزيت الذي يوقد هذا المصباح؛ لا بد أن تكون كل هذه الوسائل - المجازية - على درجة كاملة من الطهارة والنقاء، لأنّ هذا النور هو نور ربّ العالمين؛ خالق السماوات والأرض؛ نور من بيده ملكوت كل شيء، ولا يتجلّى هذا النور في كل مشكاة ولا عبر كل مصباح. ولذلك حينما يصف ربنا نوره بالقول الكريم: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^١. ثم يعطف ربنا على قوله بآية أخرى - تأتي

تفسيراً ضمنياً - وهي: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْأَعْدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ^١. فهذا النور الإلهي الذي يتجلى في بيت النبوة - محمد وآل بيته الطاهرين عليهم السلام - في ذلك البيت الذي قال عنه ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^٢.

فالبيت في الآيتين هو هو، والنور المشار إليه هو حبل الله الممتد بين الله وبين خلقه، وهو نفسه الذي قال عنه الله تعالى في موقع آخر: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^٣.

المهم؛ أن ذلك النور لا يتجلى في كل قلب، أو عبر أية سلسلة ومرحلة، إنما يتجلى في قلب من قال عنه ربنا سبحانه وتعالى في سورة آل عمران المباركة: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^٤. الذرية التي نعتها القرآن الكريم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^٥.

١- سورة النور، آية ٣٦-٣٧.

٢- سورة الاحزاب، آية ٣٣.

٣- سورة آل عمران، آية ١٠٣.

٤- سورة آل عمران، آية ٣٤.

٥- سورة إبراهيم، آية ٢٤.

وهذا الواقع لم يحكمه الله تبارك وتعالى بين البشر على سبيل الجبر، وإنما هو اختيار حكيم نابع من علمه سبحانه بما سيكون عليه بنو البشر، وإن العلم الإلهي يتعالى عن أن يكون فيه جبراً أو تسيير.

إذاً فالحديث يجرّنا في هذا الإطار الى شيء من التفصيل، حيث الحديث تارةً يكون عن عالم ما قبل عالم الأنساب والأصلاّب، وتارةً يكون عن عالم الذر، وتارةً يكون عن عالم الولادة والوجود المادي المحسوس.

إنّ مقام النبوة جدير كل

الجدارة بأن يُحاط بالعناية

الربانية الفائقة، وكذلك

بالنسبة لمقام الإمامة في

أهل البيت عليه السلام.

أما الحديث عن عالم ما قبل الأنساب والأصلاّب، فقد أكدت الروايات الصحيحة بأن الله سبحانه وتعالى خلق

أرواح النبيين والأصفياء كأظلة وأرواح، وهذه الأرواح كانت تسبّح له وتقده وتتنزهه سبعين ألف عام على باب العرش وحوله. ثم أدخل الله تعالى هذه الأرواح - وفي مقدمتها وأقدمها أرواح النبي محمد عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام - في بحار القدس والقدرة والملكوت والنور. ولقد تجاوز الرسول الأكرم عليه السلام بروحه الطاهرة المطهّرة كل هذه البحار والأنوار ليصل الى درجة رفيعة حتى اقترب واقترب: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^١.

واحتراماً لهذه الأنوار القدسية، فقد أدخلها الله سبحانه وتعالى في

صورة الذر صلب النبي آدم ﷺ أبي البشر، وأسجد الملائكة أجمعين لآدم احتراماً لهذه السلسلة المباركة، رغم ما قالته الملائكة بأنها هي التي تسجد لله وتحمده وتقّـدّس له، حيث أكد لهم الرب بأنه يعلم ما لا يعلمون. ثم أخرج ذلك النور وتلك الأجسام وتلك الذرية الطيبة لعالم الميثاق، حيث يقول الله تعالى في هذا الصدد: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^١. وكان رسول الله ﷺ أول من لبّى نداء المعرفة ونداء التوحيد الإلهي، ثم لبّى الأئمة ﷺ، ثم الانبياء ﷺ.

ثم يقول رب العزة لرسوله ﷺ: ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾^٢؛ أي منذ آدم ﷺ الى عبد الله أبي النبي ﷺ. وفي ذلك إشارة واضحة الى مدى العناية الالهية برسول الاسلام الذي هو سيد البشر. كما هو في نفس الوقت تأكيد مباشر على أن الحقيقة والصورة والنطفة التي تكوّن منها رسول الله ﷺ، لا يمكن أن تحملها أصلاب غير موحّدة أو ساجدة لرب العالمين، إذ أن مقام النبوة جدير كل الجدارة بأن يحاط بالعناية الربانية الفائقة، وكذلك بالنسبة لمقام الإمامة في أهل البيت ﷺ.

وها نحن نقرأ في زيارة الامام الحسين ﷺ نصوص النور التي تشهد لهذا الإمام العظيم بأنه طهر طاهر مطهّر من - صلب - طهر

١- سورة الاعراف، آية ١٧٢.

٢- سورة الشعراء، آية ٢١٩.

طاهر مطهر، قد طهر وظهرت به البلاد، وظهرت أرض هو فيها، وأنه لم تدنّسه الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسه من مدهمات ثيابها. والسبب في كل ذلك هو أنّ مقام النبوة والامامة الذي يتجلى فيه النور الالهي لا بد وأن يكون على مستوى رفيع جداً من النورانية والروحانية والعظمة والطهر والنقاء.

ومن هنا يمكننا القول بأنّ العظمة التي كان يتمتع بها آباء النبي ﷺ، كانت تؤهلهم لأن يكونوا أنبياء، غير أنّ الحكمة الإلهية والتقدير السماوي كانا قد حتما أن لا يكون بعد النبي عيسى عليه السلام، ما خلا نبيّ الاسلام محمد المصطفى ﷺ. فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

امراة عمران ونذر الذرية

ويستعرض لنا القرآن الكريم قصة امرأة عمران وولادة مريم الطاهرة وهي قصة غاية في البداعة والبلاغة الروحانية واللغوية، وتحتوي على لفتات هامة في العلاقة بين الانسان وبين ربه من جهة، وبينه وبين ذريته من جهة أخرى. وقد جاء فيها: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^١. فرغم أنّ الإنسان بطبيعته يريد الذرية لنفسه ويريدها امتداداً لشخصه، غير أنّ هذه المرأة المثالية كانت قد تجرّدت عن الآمال الشخصية، ونذرت مستقبل وليدها وثمره فؤادها لله

تعالى. فهي قد نذرت أئمن ما تملك لله سبحانه، لا لئمن على ربها بهذا النذر، بل لأنها كانت تعرف حدودها كإنسان مخلوق، وتعرف أيضاً عظمة الله وفضله عليها، ولم تكن بين هذا وذاك لترجو أمراً سوى قبول الله لهذا النذر، الذي هو الأعظم من بين جميع الأمور، وبالتالي كونها تطلب من الله تعالى أن يكون وليدها إنساناً نورانياً إلهياً ما دامت عناية الرب محيطة به.

إِنْ تَبَعْتَ غَفْلَةَ الْوَالِدِ

وَالْوَالِدَةِ عَنْ أَوْلَادِهِمَا لِأَنَّ

تَأْتِي دَفْعَةً وَاحِدَةً، بَلْ هِيَ

أَمْرٌ تَدْرِجِي التَّأْثِيرَ.

لقد كانت زوجة عمران طيلة فترة حملها تظن بأن ما في بطنها هو جنين ذكر، ولكنها لما وضعت وجدتها أنثى: ﴿فَلَمَّا

وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾^١. فكان من عظمة مريم (عليها السلام)، هذه المرأة الجليلة القدر أنه لم يرد ذكر اسم لآية امرأة أخرى في القرآن الكريم سوى اسمها.

وختمت أم مريم دعاءها العظيم ببصيرة نورانية أخرى بقولها: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^٢. وحينما رأى كل هذا الاخلاص وهذا الإيمان وهذه البصيرة في الدين، استجاب لها أحسن استجابة: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا

١ - سورة آل عمران، آية ٣٦.

٢ - سورة آل عمران، آية ٣٦.

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا^١.

لا بد من التأكيد على ضرورة

اختيار القرين الصالح في الزواج،

ليتسنى بذلك ضمان أكبر

نسبة ممكنة من النجاح في

العلاقة الاسرية، بها في ذلك

التناسل وصلاح النجيل.

زكريا؛ هذا النبي العظيم أصبح
كفيلاً لمريم، وفي ذلك تكريم لهذه
الطفلة الصغيرة، التي كانت - حسب
ما يبدو - أكثر يقيناً من زكريا. إذ أن

سيرة مريم وعبادتها كانت دليلاً لكفيلها الذي تنبّه بعد حين الى أن
يطلب من الله تعالى الرزق والبنين، رغم كونه قد بلغ من الكبر عتياً:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ

سَمِيعُ الدُّعَاءِ^٢.

وهكذا تلاحظ تناقل الأفكار بين الصالحين؛ زوجة عمران التي
نذرت الى الله ما في بطنها محرراً وأعادته برّبها من الشيطان الرجيم،
وبين زكريا الذي لم ينقطع به الرجاء فطلب الى ربّه أن يرزقه ذرية
طيبة تكون خير وارث لحمل أفكار وبصائر رسالات السماء.

من خلال هذه القصة العظيمة التي سردها القرآن الكريم، تتضح

لنا معالم العلاقة بين الإنسان وذريته، متى تبدأ؟ وكيف تكون؟

إنّ القرآن الكريم يريد لنا أن نعرف بأنّ هذه العلاقة تبدأ قبل

ولادة الذرية؛ بل وقبل الزواج أيضاً، وتستمر حتى تصبح الذرية

١ - سورة آل عمران، آية ٣٧.

٢ - سورة آل عمران، آية ٣٨.

في رحم الأم وتتنامي حينما يخرج الجنين طفلاً صغيراً؛ يحسبه الجاهل قطعة من اللحم، غافلاً عن أن الوليد الجديد عبارة عن جهاز متكامل. هذه العلاقة عادةً ما يغفل عنها الإنسان، فيبدر منه التقصير بحق أولاده.

إن تبعات غفلة الوالد والوالدة عن أولادهما لا تأتي دفعة واحدة، بل هي أمر تدريجي التأثير. فالوالد - مثلاً - حينما يذهب الى السوق، والسوق كما البحر - فيه اللآلئ والدرر والأسماك الطيبة وما يحل اكله، وفيه أيضاً الحيوانات الخبيثة وما يحرم اكله - في هذا السوق تجارة طيبة وتجارة خبيثة. ومن المؤسف جداً أن هذا الأب الذي يتاجر لا يفكر بغير الربح، وينسى أن في صلبه ذرية، وأن الطعام

ينبغي للنساء والنهات أن يعوا بأن
مشاكلها الشخصية تنعكس
بصورة مباشرة على نفسية
الاولاد، مما يعني أن تربيتهما لهما
أن تكون سوى هواء في شبك.

الحرام الذي يتناوله سيؤثر حتماً على طبيعة ذريته الاخلاقية والنفسية. ثم تراه يتساءل عن السبب في فساد بنيه وبناته. ثم حينما تحلّ مرحلة الحمل يتغافل الاب عما ينبغي أن يطعم زوجته، والزوجة التي لا ترى في سماع الغيبة والتهمة والأغاني عيباً وضرراً عليها وعلى جينها، في حين ان الجنين يتأثر حتى بتفكير أمّه، فضلاً عن فعلها. وفي مدة طفولته البريئة يتصوّره الأب والأم دمية يستريحان اليها.

وقبل هذا وذاك؛ لا بد من التأكيد على ضرورة اختيار القرين الصالح في الزواج، ليتسنى بذلك ضمان أكبر نسبة ممكنة من النجاح في العلاقة الاسرية، بما في ذلك التناسل وصلاح الأجيال.

ومن يهدف إيقاف الانحدار والانحراف في الامة الاسلامية، لا بد له من العمل على تغيير الأرضية التي تؤدي الى الانحراف، إذ بذلك تتم الوقاية الصحيحة. وبكلمة أخرى؛ إن الآباء والأمهات مدعوون الى التفكير والعمل على تربية جيل سليم الأخلاق. وتربية الجيل لا تعني بالضرورة سوق النصائح تلو الاخرى على مسامع الأطفال ضمن قوالب جامدة تنفّر الطفل عن الثقافة السليمة والبناء أكثر مما تقرّبها وتحبّبها إليه.

كما لا بد للآباء والأمهات أن يعوا بأن مشاكلهما الشخصية تنعكس بصورة مباشرة على نفسية الاولاد، مما يعني أن تربيتهم لهم لن تكون سوى هواء في شبك. فانعكاس المشاكل الخارجية على المنزل أو المشاكل التي لا علاقة للأولاد بها، بمثابة التربية العملية السيئة للأولاد. ومعلوم أنّ الإنسان بطبيعته يستجيب ويتأثر ويتفاعل مع العمل أكثر منه مع القول.

ثم من الضروري جداً أن يسعى الآباء والامهات الى النهوض بمستواهم الديني والثقافي، ليوفروا لذريتهم الميدان المناسب الذي

من شأنه الإجابة إلى ما يطمحون إليه من تطور وآمال. وعلى الذين يعكفون على التفكير الدائم بالدينار والدرهم، أن يعرفوا بأن السعادة الحقيقية - في واقع الأمر - تكمن في العمل على ضمان سعادة الآخرة عبر تقديم ذرية صالحة للمجتمع، وليس على جمع المال وتكديس الثروة بأيّ ثمن.

وفي الوقت الراهن نحن بمسيس الحاجة الى نهضة حقيقية في إدارة الاسرة والتربية، وتغيير الكثير من العادات والتقاليد الحاكمة التي ما أنزل الله بها من سلطان. التقاليد التي ترسبت في أذهاننا ونفسياتنا السلبية، التي هي الاخرى وليدة أخطاء الماضي وضغوط المادة والانحدار في الحاضر .

وإننا مدعوون اليوم - في ظل التحديات الجبارة التي تتعرض لها الأمة الاسلامية بشكل عام وشريحة الشباب بشكل خاص - الى التخطيط بدقة متناهية على ضوء تعاليم الرسالة، لرسم مسيرة صالحة بما للكلمة من معنى لتربية الأولاد، ليكونوا بحق نموذج البشرية الأفضل.

